العِنَايَة

فِي بَيَان

عَدَمِ ثُبُوتِ صِفَةِ الدِرَايَة لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ

تَأْلِيفُ

أبي عبد الله طارق بن يوسف بن عباس الوليدي

تقديم فضيلة الشيخ المحدث

أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الْحَجُورِيِّ

العِنَايَة في بَيَان

عَدَمِ ثُبُوتِ صِفَةِ الدِرَايَةِ لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ

العِنَايَة

فِي بَيَانِ

عَدَمِ ثُبُوتِ صِفَةِ الدِّرَايَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ

دار الحديث السلفية - صبر - لحج

تأليف

أبي عبد الله طارق بن يوسف بن عباس الوليدي

تقديم فضيلة الشيخ

أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ العلامة المحدث يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على محمد عبده ورسوله ومصطفاه وعلى آله وأصحابه البررة الهداه.

فهذه رسالة مفيدة لباحث سلفي مفيد وهو أخونا الفاضل: (طَارِقُ بْنُ يُوسُفَ الوَلِيْدِيُّ) بارك الله فيه وفي علمه، جمع فيها أدلة من القرآن والسنة وبعض الآثار وكلام العلماء في صفة الدراية لله تعالى بمعنى العلم فأجاد وأفاد، جزاه الله خيرًا ونفع به.

كتبه

أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

١٧/ رجب/ ١٤٤١ هـ

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٢] وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء: ١] وقال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**﴾ [النحل: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّه لَغَفُورٌ رَّحِيم**﴾ [النحل: ١٨]، وإن أجل نعم الله عَزَّوَجَلَّ علينا وأعظمها

لهي نعمة الإسلام ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّه غَفُورٌ رَّحِيم**﴾ [المائدة: ٣]، ونعمة التمسك بسنة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**»(١).

ومن أجل النعم أن الله تعالى هدانا ويسر لنا طلب العلم الشرعي كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(٢).

وقد وفقنا الله عَزَّوَجَلَّ بالاهتمام بعلم العقيدة والتوحيد وتدريس بعض كتب الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ، وإن من أحسن كتبه ومؤلفاته رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب: "أصول الإيمان" فقمت بتدريسه لإخواني أهل السنة في (دار الحديث السلفية بالضالع) وفي أثناء التدريس مرَّ بي حديث:

أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَأَى شَاتَيْنِ تَنْتَطِحَانِ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي فِيمَ تَنْتَطِحَانِ؟**» قَالَ: لَا. قَالَ: «**لَكِنَّ اللهَ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا**» رواه الإمام أحمد .

وفي الحديث فوائد كثيرة، ومنها: نسبة صفة الدراية إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فنظرت في كلام السلف وأئمة الدين والعلماء المتأخرين في شرح هذا الحديث فلم أجد أحدا منهم فيما وقفت عليه مَن نصَّ على ثبوت هذه الصفة لله تعالى، بل

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٤٨) عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أخرجه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وجدت من العلماء المتأخرين من ظاهر كلامه نفي هذه الصفة عن الله عَزَّوَجَلَّ وقال: الثابت لله عَزَّوَجَلَّ هو صفة العلم، فأحببت الوصول إلى الصواب في هذه الصفة، فاستعنت بالله تعالى ومنه نستمد العون والتوفيق والسداد في جمع طرق الحديث وما جاء في الباب من الآيات والأحاديث وآثار السلف من الصحابة والتابعين وكلام العلماء وأئمة الدين في هذه المسألة؛ لأن الشأن كما ذكر الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (٢/ ٢١٢) عن **علي بن المديني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أنه قال**: "الباب اذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه".

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضا".

فجمعت من ذلك ما استطعت إليه سبيلًا -على حسب قدرتي وطاقتي- وهذه المسألة من المسائل العظيمة لتعلقها بالله العزيز القهار العالم بكل شيء، وهذا من تحقيق توحيد الأسماء والصفات فيجب علينا أن نصفه بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، ويجب علينا أن ننفي عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما كان الأمر كذلك رأيت أنه من الواجب عليّ البحث في هذه المسألة، لاسيما وقد أشكلت على بعض طلاب العلم أثناء تدريسي للكتاب، فكان فيما انتهيت به وأرجو أن أكون قد وفِّقت فيها للقول الصواب وهديت إلى الرشد والتوفيق والسداد **أنه لا يوجد دليل صحيح صريح يدل على ثبوت صفة الدراية لله تعالى، وأما ما ورد عن السلف في ذلك**

فيحمل على أنهم أطلقوا ذلك على الله من باب الإخبار.

وأسال الله تعالى فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أن يوفقني ويهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنه وهو حسبي ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أَبُوعَبْدِاللهِطَارِقُ بْنُيُوسُفَالوَلِيْدِيُّ

غفرالله له ولوالديه

ضحى يوم الجمعة (١٤٣٩/١١/٢٨هـ).

تمهيد

وقبل الشروع في الكلام على صفة الدراية أحب أن أُمهِّد للمسألة بذكر بعض القواعد والفوائد والمسائل المتعلقة بأسماء الله وصفاته، لتعلقها بالموضوع، فأقول مستعينا بالله تعالى وأسأله التوفيق والسداد:

❖ مسألة: هل صفات الله تعالى توقيفية؟

صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل القرآن الكريم أو صحيح السنة على ثبوته قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا**﴾ [الإسراء: ٣٦].

فجب علينا التوقف في إثباتها على ما جاء عن الشرع، فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه بمفرده إدراك ما يستحقه تعالى من الصفات فوجب الوقوف في ذلك على الشرع، ولأن وصفه بما لم يصف به نفسه، أو إنكار ما وصف به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث"[(١)].

---

(١) انظر: مقدمة "شرح لمعة الاعتقاد" للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و"الموسوعة العقدية" (٢/ ٣١).

❖ **مسألة: ما هي طرق إثبات الصفة لله تعالى؟**

دلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة لله تعالى من ثلاثة أوجه:

الأول: (التصريح بالصفة): كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين ونحوهما، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم**﴾ [يونس: ٦٥] وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِين**﴾ [الذاريات: ٥٨] وقال تعالى: ﴿**أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيم**﴾ [البقرة: ٢١٨] وقال تعالى: ﴿**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيد**﴾ [البروج: ١٢] وقال تعالى: ﴿**وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُون**﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقال تعالى: ﴿**قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِين**﴾ [ص: ٧٥].

الثاني: (تضمن الاسم لها): كالعزيز والغفور، قال تعالى: ﴿**الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور**﴾ [الملك: ٢]؛ فالعزيز متضمن لصفة العزة، والغفور متضمن لصفة المغفرة.

الثالث: (التصريح بفعل أو وصف دال عليها) كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة والانتقام من المجرمين، كقوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: ٥] وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا**» الحديث[(١)].

---

(١) رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقول الله تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] وقول الله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُون﴾ [السجدة: ٢٢] [(١)].

❁❁❁❁

(١) "الموسوعة العقدية" (٢/ ٣١).

بعض القواعد المهمة في باب الصفات

۞ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه بل يطلق عليه منها كمالها وهذا كالمريد والفاعل والصانع فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإطلاق بل هو الفعال لما يريد فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلا وخبرا.. "اهـ[1].

۞ وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"صفات الله كلها عليا، صفات كمال ومدح، ليس فيها نقص بوجه من الوجوه: كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والحكمة، والرحمة، والعلو، وغير ذلك لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠] ولأن الرب كامل فوجب كمال صفاته.

وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حقه كالموت والجهل، والعجز، والصمم، والعمى، ونحو ذلك لأنه سبحانه عاقب الواصفين له بالنقص، ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائص، ولأن الرب لا يمكن أن يكون ناقصاً لمنافاة النقص للربوبية.

وإذا كانت الصفة كمالاً من وجه، ونقصاً من وجه لم تكن ثابتة لله، ولا

---

(١) "بدائع الفوائد" (١/ ١٦١).

ممتنعة عليه على سبيل الإطلاق بل لابد من التفصيل فتثبت لله في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً كالمكر، والكيد، والخداع ونحوها فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة مثلها، لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله، وتكون نقصاً في غير هذه الحال فتثبت لله في الحال الأولى دون الثانية قال الله تعالى: ﴿**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ [الأنفال: ٣٠] ﴿**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا**﴾ [الطارق: ١٥ - ١٦] ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [النساء: ١٤٢] إلى غير ذلك"اهـ[١].

المضاف إلى الله نوعان:

١): صفات لا تقوم بنفسها وهي نوعان:

أ- **صفات معنوية** وهي: المعاني التي لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والحكمة .

ب- **صفات عينية** وهي: الصفات المحسوسة كالوجه واليدين والقدمين .

وهي التي يسميها بعض العلماء بـ **[الصفات الخبرية]** **وضابطها:** ما كان مسماه في حق المخلوق أبعاضا وأجزاء.

قالوا: وإنما سميت خبرية لأنها ثبتت وعُلِمت بالخبر ولا مجال للعقل فيها.

والأحسن التعبير بما عبر به شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بقوله: [صفات عينية]؛**

---

(١) "شرح لمعة الاعتقاد" للعلامة ابن عثيمين ص٣ .

مخالفة لأهل البدع في اصطلاحاتهم، ولأن بعض الصفات المعنوية لا تعلم إلا بالخبر.

۞ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"الوجه الخامس والثلاثون: أن يقال: إن الصحابة والتابعين وسائر سلف الأمة وأئمتها، وأئمة أهل الحديث والفقهاء، والصوفية والمتكلمة الصفاتية من الكلابية والكرامية والأشعرية، وغيرهم من طوائف المتكلمين من المرجئة والشيعة وغيرهم على إثبات هذه الصفات الخبرية، وبقية الصفاتية النفاة لها، في الصفات التي يسمونها الصفات العقلية، كالحياة والعلم والقدرة، لكن من هؤلاء الصفاتية من يجعل تلك الصفات الخبرية، صفات معنوية أيضًا، قائمة بالموصوف مثل هذه، **وإنما يفرق بينهما، لافتراق الطريق التي بها عُلِمَتْ، فتلك عُلِمَتْ مع الخبر الصادق بالعقل، وهذه لم تُعْرَف إلا بالخبر. وأما السلف والأئمة وأهل الحديث، وأئمة الفقهاء والصوفية، وطوائف من أهل الكلام، فلا يقولون: إن هذه من جنس تلك، لا يسمونها أيضًا صفات خبرية؛ لأن من الصفات المعنوية ما لا يُعْلَم إلا بالخبر أيضًا، فليس هذا مميزًا لها عندهم، ومنهم من يقول: هذه معلومة بالعقل أيضًا.**

وعلى القولين سواء كانت صفات عينية أو معنوية: فيقال ..إلخ "اهـ[1] .

---

(١) "بيان تلبيس الجهمية في بدعهم الكلامية" (١/ ٣٣٠) .

٢): إضافة أعيان منفصلة عنه قائمة بذاتها وهي نوعان:

أ- أن تضاف إليه؛ لكونه خلقها وأبدعها، فهذا شامل لجميع المخلوقات، كقولهم: سماء الله، وأرض الله. فجميع المخلوقين عبيد الله، وجميع المال مال الله كما قال تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لَّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية: ١٣].

ب- أن تضاف إليه لما خصها به من معنى يحبها ويأمر بها ويرضاها؛ كما خص البيت العتيق لعبادة فيه لا تكون في غيره فقال تعالى: ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ [الحج: ٢٦] وكما خص نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا**﴾ [الجن: ١٩] لقيامه بالعبودية الخاصة، وكما أضاف روح عيسى عليه والصلاة والسلام إليه بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا**﴾ [النساء: ١٧١] وكما يقال في مال الخمس والفيء: هو مال الله ورسوله.

فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكن إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً، يتميز بها المضاف إلى غيره [(١)].

---

(١) "درء تعارض العقل والنقل" (٧/ ٢٦٥) و"الموسوعة العقدية" (٤/ ١٧٢).

❖ **مسألة: ما ضابط ما يخبر به عن الله تعالى؟**

الإخبار عن الله: هو التحدث عن الله بما ثبت معناه في الكتاب والسنة وإن لم يثبت لفظه فيهما بشرط ألا يكون الاسم سيِّئا .

والضابط لذلك شيئان هما:

١- **ألا تتضمن نقصا في حق الله**؛ لأن الله أثبت لنفسه صفات الكمال ونزه نفسه عن صفات النقص بإجماع المسلمين .

٢- **عدم التعبد بها كما يُتَعَبَّدُ بالأسماء والصفات**؛ لأن الأسماء والصفات يترتب عليها عبوديات لله تعالى.

۞ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"فصل: قال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون**﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُواْ اللَّه أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا**﴾ [الإسراء: ١١٠] وقال تعالى: ﴿**اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى**﴾ [طه: ٨]وقال تعالى: ﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم**﴾ [الحشر: ٢٤] و﴿**الْحُسْنَى**﴾: المفضلة على الحسنة والواحد الأحاسن. **ثم هنا ثلاثة أقوال:**

- **إما أن يقال**: ليس له من الأسماء إلا الأحسن ولا يدعى إلا به؛ وإما أن يقال: لا يدعى إلا بالحسنى؛ وإن سمي بما يجوز - وإن لم يكن من الحسنى - وهذان قولان معروفان.

- **وإما أن يقال**: بل يجوز في الدعاء والخبر. وذلك أن قوله: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون**﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال: ﴿**قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا**﴾ [الإسراء: ١١٠] أثبت له الأسماء الحسنى وأمر بالدعاء بها.

فظاهر هذا: أن له جميع الأسماء الحسنى. وقد يقال: جنس "الأسماء الحسنى" بحيث لا يجوز نفيها عنه كما فعله الكفار وأمر بالدعاء بها وأمر بدعائه مسمى بها؛ خلاف ما كان عليه المشركون من النهي عن دعائه باسمه "الرحمن"، فقد يقال: قوله ﴿**فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون**﴾ أمر أن يدعى بالأسماء الحسنى وأن لا يدعى بغيرها؛ كما قال: ﴿**ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥] فهو نهي أن يدعوا لغير آبائهم.

ويفرق بين دعائه والإخبار عنه فلا يدعى إلا بالأسماء الحسنى.

- **وأما الإخبار عنه: فلا يكون باسم سيئ؛ لكن قد يكون باسم حسن أو باسم ليس بسيئ وإن لم يحكم بحسنه. مثل اسم شيء وذات وموجود**؛ إذا أريد به الثابت وأما إذا أريد به "الموجود عند الشدائد" فهو من الأسماء الحسنى، وكذلك **المريد والمتكلم**؛ فإن الإرادة والكلام تنقسم إلى محمود ومذموم

فليس ذلك من الأسماء الحسنى بخلاف الحكيم والرحيم والصادق ونحو ذلك فإن ذلك لا يكون إلا محمودا.

وهكذا كما في حق الرسول حيث قال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] فأمرهم أن يقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله كما خاطبه الله بقوله: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿* يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ لا يقول: يا محمد، يا أحمد، يا أبا القاسم، وإن كانوا يقولون في الإخبار - كالأذان ونحوه -: أشهد أن محمدا رسول الله كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩] وقال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦] وقال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فهو سبحانه: لم يخاطب محمدا إلا بنعت التشريف: كالرسول والنبي والمزمل والمدثر؛ وخاطب سائر الأنبياء بأسمائهم مع أنه في مقام الإخبار عنه قد يذكر اسمه. فقد

فرق سبحانه بين حالتي الخطاب في حق الرسول وأمرنا بالتفريق بينهما في حقه؛ وكذلك هو المعتاد في عقول الناس إذا خاطبوا الأكابر من الأمراء والعلماء والمشايخ والرؤساء لم يخاطبوهم ويدعوهم إلا باسم حسن؛ وإن كان في حال الخبر عن أحدهم يقال: هو إنسان وحيوان ناطق وجسم ومحدث ومخلوق ومربوب ومصنوع وابن أنثى ويأكل الطعام ويشرب الشراب.

لكن كل ما يذكر من أسمائه وصفاته في حال الإخبار عنه: يدعى به في حال مناجاته ومخاطبته؛ وإن كانت أسماء المخلوق فيها ما يدل على نقصه وحدوثه وأسماء الله ليس فيها ما يدل على نقص ولا حدوث؛ بل فيها الأحسن الذي يدل على الكمال وهي التي يدعى بها؛ وإن كان إذا أخبر عنه يخبر باسم حسن أو باسم لا ينفي الحسن ولا يجب أن يكون حسنا .

وأما في الأسماء المأثورة فما من اسم إلا وهو يدل على معنى حسن فينبغي تدبر هذا للدعاء وللخبر المأثور وغير المأثور الذي قيل لضرورة حدوث المخالفين – للتفريق بين الدعاء والخبر وبين المأثور الذي يقال – أو تعريفهم لما لم يكونوا به عارفين وحينئذ فليس كل اسم ذكر في مقام يذكر في مقام بل يجب التفريق. "اهـ[1] .

۞ **وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ -في سياق ذكره لبعض القواعد في الصفات:**

" ١- ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفا كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه فهذا

---

(١) "مجموع الفتاوى" (٦/ ١٤١) .

فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع.

٢- أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء والموجود والقائم بنفسه فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

٣- أنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيدا أن يشتق له منه اسم مطلق كما غلط فيه بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنى المضل الفاتن الماكر تعالى الله عن قوله فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة والله أعلم"اهـ[1].

(١) "بدائع الفوائد" (١/ ١٦١).

أنواع الإخبار عن الله فيما جاء عن السلف

❁ **النوع الأول:**

مرادفات لأسماء الله وصفاته وأفعاله، وما يفهم من سياق آي القرآن كما سبق في تعريف الإخبار وهو الذي لم يثبت عنهم الخلاف في جوازه.

❁ **النوع الثاني:**

ما جاء صريحا في إجماع السلف لتقرير معنى صحيحا في العقيدة أو للرد على معنى باطل مثل: " البائن من خلقه – ذات الله " وهو ملحق بالنوع الأول في جوازه.

❁ **النوع الثالث:**

الألفاظ التي تكلم بها بعض السلف للرد على خصومهم مثل: " القديم – الحد "، **وحكمها**: أنه يسأل عن المعنى المراد وما دام هناك لفظ أحسن في التعبير عن المعنى فاستخدامه هو الموافق لمذهب السلف، مع الاشتراط ألا تتضمن نقصا في حق الله.

النوع الرابع:

الألفاظ المجملة التي تكلم بها المبتدعة مثل " الجسم – المماسة – التحيز " ولا شك في المنع من استخدامها والتكلم بها بين المسلمين في الإخبار عن الله، وإن كان في مقام مجادلة أهل البدع فالتفصيل في المعنى هو مذهب السلف فإن كان المعنى حقا قبل ويتوقف في اللفظ، وإن كان المعنى باطلا فيرد اللفظ

والمعنى[١].

❖ مسألة: هل يشترط في الإخبار عن الله التوقيف؟

يجوز الإخبار عن الله بدون اشتراط التقيُّد بما جاء في الوحيين عكس ما ثبت في توقيفية الأسماء والصفات، ومن الأدلة على ذلك:

١): **الإخبار عن الله بأنه شيء**، قال تعالى: ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام: ١٩] **قال الإمام ابن جرير الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبون ويجحدون نبوتك من قومك: أي شيء أعظم شهادة وأكبر؟ ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة: الله الذي لا يجوز أن يقع في شهادته ما يجوز أن يقع في شهادة غيره من خلقه من السهو والخطأ والغلط والكذب، ثم قل لهم: إن الذي هو أكبر الأشياء شهادة شهيد بيني وبينكم.

وقال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير**﴾ [الشورى: ١١] وعن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا شَيْءَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ**»[٢].

٢): **الإخبار عنه بأنه شخص**، فقد بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه في

---

(١) انظر: "شرعية الإخبار عن الله بما لم يأت به قرآن ولا سنة" ص١٠.

(٢) رواه البخاري (٤٩٢٤) و مسلم (٢٧٦٢).

كتاب التوحيد فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا شخص أغير من الله**»[(١)].

وغير ذلك كثير في كلام السلف والعلماء رحمهم الله تعالى.

والآن نشرع في مقصودنا من هذه الرسالة فنقول وبالله التوفيق:

(١) البخاري معلقا قبل حديث رقم (٧٤١٦) ومسلم (١٤٩٩).

هل من صفات الله تعالى: صفة الدراية؟

لا تثبت صفة الدراية لله تعالى لثلاثة أمور وهي:

الأمر الأول -وهو الأمر الرئيسي وما بعده من الأمور فهي تبع لهذا السبب-: أنه لم يأت في القرآن الكريم ولا في صحيح سنة نبينا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دليل يدل على ثبوت هذه الصفة لله تعالى.

والواجب على المسلم فيما لم يأت به الدليل: التوقف فيه وعدم نسبته إلى الله تعالى، ولا يجوز نفيه عن الله عَزَّوَجَلَّ على سبيل الجزم، وإنما يقال في ذلك: [لا نعلم دليلا يدل على ثبوت هذه الصفة]؛ لأن الله تعالى قد استأثر بعلمه من صفاته ما لا يعلمه الخلق لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي»[1] إلا فيما تضمن نقصا محضا في حق الله تعالى فيجب نفيه عن الله جل وعلا.

ولا أعلم دليلا من كتاب الله أو من صحيح سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه نسبة الدراية لله تعالى، إلا حديثا واحدا وهو حديث ضعيف لا تقوم به الحجة ولا تثبت به هذه الصفة.

---

(١) رواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا الحديث هو حديث:

أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى شَاتَيْنِ تَنْتَطِحَانِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي فِيمَ تَنْتَطِحَانِ؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «لَكِنَّ اللهَ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا» وفي بعض الطرق زيادة: قَالَ: لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يُقَلِّبُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ، إِلَّا ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْمًا".

وإليك أخي القارئ تخريج هذا الحديث:

** أولًا: ذكر طرق الحديث:

الحديث له طريقان:

❁ الطريق الأولى:

عن عبد الرحمن بن ثروان عن هزيل بن شرحبيل عن أبي ذر.

أخرجه الإمام أحمد (٢١٥١١) فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا لَيْثٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَرْوَانَ، عَنْ الْهُزَيْلِ بْنِ شُرَحْبِيلَ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ جَالِسًا، وَشَاتَانِ تَعْتلفَانِ، فَنَطَحَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، فَأَجْهَضَتْهَا، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «عَجِبْتُ لَهَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُقَادَنَّ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

ꕥ قلت: وهذا إسناد ضعيف، فيه: ليث ابن أبي سليم وهو ضعيف مختلط، وليس في الحديث نسبة الدراية لله تعالى.

وقد وقع اختلاف في سند هذا الحديث، فرواه بعضهم بإسقاط ليث بن أبي سليم، ولكن الراجح هذه الطريق بذكر ليث بن أبي سليم، فقد سئل الإمام الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "العلل" (١١٢٥) عن هذا الحديث فقال: "هو حديث يرويه ليث بن أبي سليم، عن أبي قيس عبد الرحمن بن ثروان، عن هزيل، عن أبي ذر، رواه عنه الطفاوي، وصدقة بن موسى، وغيرهما.

وحدث به محمد بن حبان البصري، عن شيخ له، عن الطفاوي، عن أيوب السختياني، عن أبي قيس، عن هزيل، عن أبي ذر.

ووهم فيه، وإنما رواه الطفاوي، عن ليث، عن أبي قيس، وهو الصواب"اهـ.

❁ الطريق الثانية:

عن منذر الثوري وقد اختلف عليه:

١- **فرواه عنه سليمان الأعمش** واختلف عليه في إسناده ومتنه:

أ- فرواه أبو معاوية محمد بن خازم الضرير .

رواه عنه الإمام أحمد في "المسند" (٢١٤٣٨) عن الأعمش عن منذر الثوري عن أشياخ له عن أبي ذر به .

ورواه عنه أبو خيثمة عن الأعمش عن منذر عن أشياخ التَّيم عن أبي ذر به. كما عند ابن أبي الدنيا في "الأهوال" (١٨١) .

ورواه عنه الإمام ابن أبي شيبة عن الأعمش عن منذر عن أشياخه عن أبي ذر به. كما في "إتحاف الخيرة" (١/ ١٨٤) .

ورواه عنه ابن نمير عن الأعمش عن منذر عن أشياخه عن أبي ذر به، دون

قوله: «**وسيقضي بينهما يوم القيامة**» . عند أبي يعلى الموصلي كما في "إتحاف الخيرة" (١/ ١٨٤) .

ب- ورواه معمر عن الأعمش عمن ذكره عن أبي ذر به . كما عند عبد الرزاق في تفسيره (٧٨٧) ومن طريقه ابن جرير في تفسيره عند آية (٣٨) من سورة الأنعام .

تنبيه: وقع في المطبوع: "عن الأعمش ذكره عن أبي ذر" والصواب ما ذكرناه كما في "تفسير ابن كثير" .

ج- ورواه عبد الله بن نمير حدثنا الأعمش، عن منذر، حدثنا أشياخ، من التيم، قالوا: قال أبو ذر: "لقد تركنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما " . وليس فيه قصة الشاتين ونسبة الدراية إلى الله تعالى.

أخرجه أحمد (٢١٣٦١) وأبو بكر بن أبي شية كما في "إتحاف الخيرة" (١/ ١٨٨) . ووقع في "إتحاف الخيرة": "عن مندل" وهو تصحيف .

د- وروا شعبة واختلف عليه:

١- فرواه محمد بن جعفر .

رواه عنه الإمام أحمد في "المسند" (٢١٤٣٨) عن شعبة عن الأعمش عن منذر الثوري عن أشياخ لهم عن أبي ذر به .

وأخرجه برقم (٢١٤٣٩) عن شعبة عن الأعمش عن منذر الثوري عن أشياخ لهم عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي

السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا " .

٢- ورواه أبو داود الطيالسي (٤٨٢) فقال: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ، قَالَ: سَمِعْتُ مُنْذِرًا الثَّوْرِيَّ، يُحَدِّثُ عَنْ أَصْحَابٍ لَهُ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاتَيْنِ يَنْتَطِحَانِ فَقَالَ لِي: «**يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَدْرِي فِيمَا يَنْتَطِحَانِ؟**» قُلْتُ: لَا، قَالَ: «**وَلَكِنْ رَبُّكَ يَدْرِي وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» .

وأخرجه أبو داود أيضا (٤٨١) فقال: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُنْذِرٍ الثَّوْرِيِّ، عَنْ أَصْحَابٍ لَهُ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: " لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَيْرٌ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا".

وليس فيه قصة الشاتين ونسبة الدراية إلى الله تعالى.

٣- ورواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر به . كما في"البعث" لأبي داود (٣٦).

۞ لكن قال أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ عقبه:

"أَخْطَأَ فِيهِ أَبُو دَاوُدَ، وَالصَّوَابُ: شِمْرُ بْنُ عَطِيَّةَ، عَنْ شَيْخٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ: ابْنُ أَبِي دَاوُدَ: لَمْ نَكْتُبْهُ عَنْ غَيْرِ إِسْحَاقَ" .

والحاصل من هذه الطريق: أنه اختلف فيها على الأعمش على ثلاثة أوجه وهي:

١): رواه أبو معاوية محمد بن خازم الضرير وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن نمير كلهم عن الأعمش عن منذر الثوري عن أشياخ له عن أبي ذر به .

٢): ورواه معمر بن راشد عن الأعمش عمن ذكره عن أبي ذر به .

٣): ورواه شعبة بن الحجاج عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر به .

ولكن هذه الطريق تعتبر خطأ فهي من طريق أبي داود الطيالسي وقد خطّأه أبو بكر بن أبي داود كما تقدم .

وسئل الإمام الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حديث شعبة، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر رأى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاتين تنتطحان.

۞ **فقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"تفرد به أبو داود، عن شعبة، ولا يثبت عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر، رأى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحديث"اهـ. "العلل" برقم (١١٣١).

والصحيح من هذه الروايات هي: رواية أبي معاوية محمد بن خازم الضرير وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن نمير اللذين رووا الحديث عن الأعمش عن منذر عن أشياخ له عن أبي ذر.

وذلك لأن **أبا معاوية** ثقة وقد قيل فيه: "هو أحفظ الناس لحديث الأعمش" كما في ترجمته، و**شعبة بن الحجاج** هو أمير المؤمنين في الحديث ثقة حافظ متقن، و**عبد الله بن نمير** ثقة أيضا فروايتهم أرجح من رواية معمر بن راشد الذي قد ضعفت روايته عن الأعمش والله أعلم .

٢- **ورواه فطر بن خليفة** واختلف عليه في اسناده ومتنه أيضا:

١): فرواه حجاج بن محمد المصيصي كما عند الإمام أحمد في "المسند" (٢١٤٤٠)، وإسحاق بن سليم عند ابن جرير في تفسيره عند آية (٣٨) من سورة الأنعام، كلاهما عن فطر بن خليفة عن منذر الثوري عن أبي ذر به.

وساق ابن جرير لفظه وزاد فيه: قال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لقد تركنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما يقلِّب طائرٌ جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علمًا".

٢): ورواه وكيع في "الزهد" (٥٢٢) ومن طريقه ابن سعد في "الطبقات" (٢/ ٢٧٠) عن فطر عن منذر الثوري عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يُقَلِّبُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ، إِلَّا ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْمًا ". وليس فيه قصة الشاتين ونسبة الدراية إلى الله تعالى .

٣): ورواه سفيانُ بن عيينة عن فطر، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: تَرَكْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ، إِلَّا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا، قَالَ: فَقَالَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ**» . وليس فيه قصة الشاتين ونسبة الدراية إلى الله تعالى.

أخرجه البزار في "مسنده" (٣٨٩٧) وكما في "كشف الأستار"(١٤٧)، وابن حبان (٦٥)، والطبراني (٢/ ١٥٥)، والذهبي في "تذكرة الحفاظ" (٣/ ٣٤) وغيرهم وزاد الطبراني في آخره: فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما بقي شيءٌ يُقرِّبُ من الجنة ويباعد من النار، إلا وقد بُيِّنَ لكم**».

۞ قال الإمام البزار رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

رواه بعضهم، عن فطر، عن منذر قال أبو ذر.

ومنذر لم يدرك أبا ذر.

٤): ورواه سفيان الثوري عن فطر عن أبي الطفيل عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: "لقد تركنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا وهو يذكرنا منه علما" . وليس فيه قصة الشاتين ونسبة الدراية إلى الله تعالى.

أخرجه ابن عساكر (٢٣٨/٤٣) والدارقطني في "العلل" (١١٤٨) وأبو الحسين الصيداوي في "معجم الشيوخ" ص١٤٢ والذهبي في "تذكرة الحفاظ" (٣/ ٣٤) .

٥): ورواه أبو نعيم عبد الرحمن بن هانئ عن فطر عن منذر الثوري عن الربيع بن خثيم عن أبي ذر: "لقد تركنا رسول الله يقلب طائر جناحيه" الحديث. وليس فيه قصة الشاتين ونسبة الدراية إلى الله تعالى.

ذكره الدارقطني في "أطراف الغرائب والأفراد" (٤٦٢٩) وقال: " غريب من حديث الربيع عنه (يعني أبا ذر)، تفرد به أبو نعيم النخعي عبد الرحمن بن هانئ عن فطر عن منذر الثوري عنه(يعني الربيع)".

٦): ورواه يحيى بن سعيد القطان، عن فطر، عن عطاء بن أبي رباح قال: قال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا فِي السَّمَاءِ طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا**». وليس فيه قصة الشاتين ونسبة الدراية إلى الله تعالى. أخرجه أبو يعلى (٥١٠٩) .

٧): ورواه محمد بن عبيد الطنافسي ثنا فطر، عن أبي يعلى، عن أبي الدرداء قال: "لقد تركنا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وما تقلب طير بجناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما". وليس فيه قصة الشاتين ونسبة الدراية إلى الله تعالى. كما في "إتحاف الخيرة" (١/ ١٨٨) .

℘ والحاصل من هذه الطريق: أنه اختلف فيها على فطر بن خليفة على خمسة أوجه وهي:

١): رواه وكيع وحجاج بن محمد المصيصي وإسحاق بن سليم عن فطر بن خليفة عن منذر الثوري عن أبي ذر به.

٢): ورواه أبو نعيم عبد الرحمن بن هانئ عن فطر عن منذر الثوري عن الربيع بن خثيم عن أبي ذر.

٣): ورواه محمد بن عبيد الطنافسي عن فطر عن منذر الثوري عن أبي الدرداء.

٤): ورواه سفيان بن عيينة وسفيان الثوري عن فطر، عن أبي الطفيل عامر ابن واثلة، عن أبي ذر به.

٥): ورواه يحيى بن سعيد القطان عن فطر، عن عطاء بن أبي رباح عن أبي الدرداء .

℘ والصحيح من هذه الطرق الخمسة هي: الطريق الأولى وهي: رواية وكيع ابن الجراح وحجاج بن محمد المصيصي وإسحاق بن سليم عن فطر ابن خليفة عن منذر الثوري عن أبي ذر به . منقطعًا.

فقد سئل الإمام الدارقطني كما في "العلل" (١١٤٨) عن حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن أبي ذر، قال: لقد تركنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما طائر يقلب جناحيه في أفق السماء إلا وهو يذكرنا منه علما.

۞ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

يرويه ابن عيينة، عن فطر بن خليفة، عن أبي الطفيل، عن أبي ذر. وقيل: عن الثوري أيضا، وليس بصحيح عنه.

وغير ابن عيينة يرويه، عن فطر، عن منذر الثوري، عن أبي ذر مرسلا. وهو الصحيح.

وقال شعبة، والثوري، وابن نمير، عن الأعمش، عن منذر الثوري، عن أشياخ لهم، عن أبي ذر.

حدثنا أبو ذر أحمد بن محمد بن أبي بكر الواسطي، والحسين بن إسماعيل المحاملي، قالا: حدثنا عيسى بن أبي حرب، قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير، حدثنا سفيان الثوري، عن فطر، عن أبي الطفيل، عن أبي ذر بذلك"اهـ.

** ثانيًا:

الترجيح بين الطريق الأولى التي رواها الأعمش، والطريق الثانية التي رواها فطر بن خليفة.

فهذه الطريق الثانية للحديث اختلف فيها على منذر الثوري كما يلي:

الطريق الأولى التي رواها الأعمش: الصحيح فيها هي رواية أبي معاوية محمد بن خازم الضرير وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن نمير الذين رووا الحديث عن

الأعمش عن منذر عن أشياخ له عن أبي ذر. بذكر الواسطة بين منذر الثوري وبين أبي ذر.

والطريق الثانية التي رواها فطر بن خليفة: الصحيح فيها هي رواية وكيع بن الجراح وحجاج بن محمد المصيصي وإسحاق بن سليم عن فطر بن خليفة عن منذر الثوري عن أبي ذر به . منقطعا بدون ذكر الواسطة بين منذر الثوري وبين أبي ذر.

والصحيح من هاتين الطريقين هي الطريق الأولى التي رواها الأعمش عن منذر الثوري عن أشياخ له عن أبي ذر، فهي أرجح من رواية فطر بن خليفة لأمرين:

١): **أن الأعمش أثبت وأحفظ للحديث من فطر بن خليفة .**

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "**التقريب**" ترجمة الأعمش:

ثقة حافظ عارف بالقراءات، ورع، لكنه يدلس.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ترجمة فطر**:

صدوق رمى بالتشيع .

وقد تكلم بعض العلماء في فطر بن خليفة، ولهذا **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "هدي الساري":

"فطر بن خليفة المخزومي مولاهم كوفي من صغار التابعين وثقه أحمد والقطان والدارقطني وابن معين والعجلي والنسائي وآخرون .

۞ **وقال بن سعد:**

كان ثقة إن شاء الله، ومن الناس من قد يستضعفه . وقال الساجي: كان ثقة وليس بمتقن . فهذا قول الأئمة فيه وأما الجوزجاني فقال: كان غير ثقة . وقال بن أبي خيثمة عن قطبة بن العلاء: تركت حديثه لأنه روى أحاديث فيها إزراء على عثمان انتهى .

فهذا هو ذنبه عند الجوزجاني وقد قال العجلي أنه كان فيه تشيع قليل. وقال أبو بكر بن عياش: تركت الرواية عنه لسوء مذهبه . وقال أحمد بن يونس: كنا نمر به وهو مطروح لا نكتب عنه"اهـ.

٢): أن رواية الأعمش عن منذر الثوري هي على شرط البخاري ومسلم، وأما رواية فطر بن خليفة عن منذر الثوري فليست كذلك، بل لم يخرج الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه لفطر شيئا وإنما أخرج له البخاري مقرونا بغيره.**

۞ **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في "هدي الساري":**

"روى له البخاري وأصحاب السنن، لكن ليس له في البخاري سوى حديث واحد رواه عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو حديث: «**ليس الواصل كالمكافئ**»، لأن الحديث أخرجه من طريق الثوري عن الأعمش والحسن بن عمرو وفطر ثلاثتهم عن مجاهد قال البخاري لم يرفعه الأعمش"اهـ .

**** ثالثًا: الحكم على الحديث:**

إذا تبين أن الصحيح من الطريق الثانية هي: طريق الأعمش عن منذر الثوري عن أشياخ له عن أبي ذر . بقي أن نعرف رجال إسناد هذه الطريق الراجحة، وهم

كما يلي:

١- **الأعمش هو**: سليمان بن مهران الكوفي ثقة حافظ عارف بالقراءات، ورع، لكنه يدلس وقد عنعن، وقد وصفه الخطيب البغدادي في "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (ص٣٦٥) بتدليس التسوية ونقل ذلك أيضا عن عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **وقال الإمام الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"وهو يدلس، وربما دلس عن ضعيف، ولا يدرى به، فمتى قال حدثنا فلا كلام، ومتى قال " عن " تطرق إلى احتمال التدليس إلا في شيوخ له أكثر عنهم: كإبراهيم، وابن أبي وائل، وأبي صالح السمان، فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال"اهـ انظر"ميزان الاعتدال"(٢/ ٢٢٤) .

قلت: وهذه المسألة فيها خلاف بين العلماء رحمهم الله تعالى، وهي: عنعنة الأعمش هل هي مقبولة أم مردودة؟

وعلى كل حال هذه العلة وهي تدليس الأعمش تزول بقول أمير المؤمنين في الحديث شعبة بن الحجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ الراوي عن الأعمش في هذا الحديث:

"كفيتكم تدليس ثلاثة الاعمش وأبي إسحاق وقتادة" .

قال الحافظ بن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"قلت: فهذه قاعدة جيدة في أحاديث هؤلاء الثلاثة أنها إذا جاءت من طريق شعبة دلت على السماع ولو كانت معنعنة"اهـ . انظر:" تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس"ص ٥٩.

٢- **المنذر الثوري هو**: ابن يعلى أبو يعلى الكوفي قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ

في "التقريب": ثقة .

٣- **أشياخ منذر الثوري وهم**: مبهمون، **قال العلامة الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (١٩٦٧):

"وهذا إسناد صحيح عندي، فإن رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير الأشياخ الذين لم يسموا وهم جمع من التابعين، يغتفر الجهل بحالهم لاجتماعهم على رواية هذا الحديث، ولا يخدج في ذلك قوله في الرواية الأولى: "أشياخ له" فإنه لا منافاة بين الروايتين لأن الأقل يدخل في الأكثر، وزيادة الثقة مقبولة"اهـ.

والذي يظهر والله أعلم: أن الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أراد بهذا الكلام تصحيح أصل الحديث وهو: الاقتصاص من البهائم بعضها من بعض؛ لأنه حديث الترجمة في "السلسلة الصحيحة" ولفظه: "يقتص الخلق بعضهم من بعض، حتى الجماء من القرناء، وحتى الذرة من الذرة".**

وهذا الحديث ثابت أعني حديث الاقتصاص من البهائم بعضها من بعض (يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) لا شك فيه وله شواهد كثيرة ذكرها العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في هذا الموضع من السلسلة الصحيحة"، وأما زيادة نسبة الدراية لله تعالى (ولكن الله يدري) في هذا الحديث فهي من طريق هؤلاء المشايخ المبهمين، ولا نأمن أيضا من الانقطاع بينهم وبين أبي ذر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقد اختلف علماء الحديث في هذه المسألة وهي:

إذا كان في إسناد الحديث مبهمون وكانوا جمعا نحو: [**حدثني مشايخي**]، أو

[**حدثني غير واحد**] ونحو ذلك، هل تنجبر الجهالة بالجمع، فيحتج بالحديث، أو لا تنجبر الجهالة بالجمع حتى يسمون؟

١): فمنهم من رأى أن الجمع يجبر الجهالة، وهذا ظاهر اختيار الإمام البخاري ورجحه الحافظ ابن حجر والسخاوي رحمهم الله.

٢): ومنهم من توقف في الاحتجاج بهم؛ لأن الجمع قد يكونون ضعفاء أو كذابين أو مجهولين، وأيضا يحتمل أن يكون الجمع اثنين فلا تنجبر الجهالة بذلك. وهذا قول الإمام الشافعي والخطابي والبيهقي واختاره العلامة الوادعي رحمهم الله.

٣): ومنهم من فصَّل: فرأى أن الجمع يجبر الجهالة إذا كانوا في القرون الثلاثة المفضلة، وأما في غيرهم فيتوقف فيهم، وهذا قول العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وهذا القول جيد لاسيما إذا صرح بكثرة عددهم نحو: [**حدثني خمسة من أشياخي**]، أو [**سمعت عشرة من مشايخي**]، مما يغلب على الظن أنهم كثير.[(١)]

وعلى كل حال فهذه الزيادة: (**ولكن الله يدري**) **في هذا الحديث** لا تطمئن النفس إلى ثبوتها وإن كان المبهمون جمعا **لأمور وهي**:

١- **أن أصل الحديث ثابت لكن بدون هذه الزيادة فقد أخرج الحديث الإمام مسلم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صحيحه برقم (٢٥٨٢) قال**: حدثنا يحيى بن أيوب، وقتيبة،

---

(١)"الباعث الحثيث" ص(٢١٨)، و"الدرر في مسائل المصطلح" للعلامة الألباني ص(٣٣)، و"الفتاوى الحديثية" للعلامة الوادعي (١/ ٣٠٣)، و"شرح النزهة" لأخينا مأمون الضالعي ص(١٥٤).

وابن حجر، قالوا: حدثنا إسماعيل يعنون ابن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء، من الشاة القرناء**» .

وليس فيه زيادة: "ولكن الله يدري" وهكذا جميع الشواهد والمتابعات التي ذكرها العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في "السلسلة الصحيحة" (١٩٦٧) عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأبي ذر وعثمان بن عفان وعبد الله بن أبي أوفى وثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميع تلك الطرق والشواهد ليس فيها ذكر هذه الزيادة وهي: نسبة الدراية لله تعالى (ولكن الله يدري)، وهذا مما يؤكد أن تفرد مثل هؤلاء الشيوخ بهذه الزيادة التي يبنى عليها مسألة عقدية فيها نظر.

٢- أن هؤلاء الشيوخ المبهمين مع أنهم عدد قد تنجبر بهم الجهالة –على قول من يقول بذلك– فإننا لا نأمن من الانقطاع بينهم وبين أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٣- أن منذر الثوري قد تابعه عبد الرحمن بن ثروان وهو صدوق كما في الطريق الأولى فرواه عن هزيل بن شرحبيل وهو ثقة، عن أبي ذر فذكر قصة الشاتين فقط بدون زيادة نسبة الدراية لله تعالى، وهذه الطريق وإن كانت من طريق ليث بن أبي سليم وهو ضعيف لكنها في الشواهد، وهي تدل على أن تفرد هؤلاء الشيوخ بهذه الزيادة لا تصح.

٤- أنه قد اختلفت الرواية في تسميت شيوخ منذر الثوري كما يلي:

فرواه أبو معاوية فقال: " عن أشياخ له " وقال مرة: " عن أشياخ التيم " وقال مرة: " عن أشياخه " .

ورواه عبد الله بن نمير فقال: " عن أشياخ من التيم ".

ورواه شعبة فقال: قال مرة: " عن أشياخ لهم " وقال مرة: " عن أصحاب له".

فهذا مما يدل على عدم انضباط هذه الرواية.

٥- أن هذه الطريق التي فيها ذكر الواسطة قد اختلف رواتها في لفظ الحديث على لفظين:

اللفظ الأول:

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى شَاتَيْنِ تَنْتَطِحَانِ، فَقَالَ: **«يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي فِيمَ تَنْتَطِحَانِ؟»** قَالَ: لَا. قَالَ: **«لَكِنَّ اللهَ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا»** .

رواه بهذا اللفظ أبو معاوية محمد بن خازم الضرير وشعبة بن الحجاج في رواية محمد بن جعفر وأبي داود الطيالسي عنه كلاهما (أبو معاوية وشعبة) عن الأعمش عن منذر الثوري عن أشياخ له عن أبي ذر.

واللفظ الثاني:

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "لقد تركنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما " . وليس فيه قصة الشاتين ونسبة الدراية إلى الله تعالى.

رواه بهذا اللفظ عبد الله بن نمير وشعبة بن الحجاج في رواية محمد بن جعفر وأبي داود الطيالسي عنه كلاهما (ابن نمير وشعبة) عن الأعمش عن منذر

الثوري عن أشياخ له عن أبي ذر.

وعند الترجيح بين اللفظين فاللفظ الأول أرجح لأن أبا معاوية قد قيل فيه: "هو أحفظ الناس لحديث الأعمش" كما في ترجمته، ويحتمل أن يقال: إن الحديث روي بالوجهين، فهما حديثان مختلفان وهذا هو الأقرب والله أعلم.

فهذه الأمور تدل على عدم ثبوت زيادة نسبة الدراية إلى الله تعالى في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

❁ **اعتراض:**

فإن قال قائل: كلام الإمام الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ السابق في الحديث وهو قوله: "يرويه ابن عيينة، عن فطر بن خليفة، عن أبي الطفيل، عن أبي ذر. وقيل: عن الثوري أيضا، وليس بصحيح عنه.

وغير ابن عيينة يرويه، عن فطر، عن منذر الثوري، عن أبي ذر مرسلا. وهو الصحيح.

وقال شعبة، والثوري، وابن نمير، عن الأعمش، عن منذر الثوري، عن أشياخ لهم، عن أبي ذر"اهـ.

❖ **هل يدل كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ على أنه يرجح طريق فطر بن خليفة المنقطعة مطلقا على الطريق الأخرى الموصولة؟**

فالجواب: الذي يظهر أنه رَحِمَهُ اللَّهُ أراد الترجيح بين الاختلاف الحاصل في الطريق الثانية على فطر بن خليفة فقط؛ فإنه قد اختلف عليه على خمسة أوجه

كما تقدم، ولم يرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الترجيح مطلقا بين الطريق الأولى التي رواها الأعمش وبين الطريق الثانية التي رواه فطر بن خليفة؛ لأن الأعمش أحفظ وأثبت في الحديث من فطر بن خليفة.

وعلى كلٍّ: فالحديث لا يثبت بهذه الزيادة وهي نسبة الدراية إلى الله:

فطريق فطر بن خليفة علتها الانقطاع بين منذر الثوري وبين أبي ذر، على فرض أن الإمام الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجح طريق فطر على طريق الأعمش، **وطريق الأعمش علتها الأشياخ المبهمون الذين تفردوا بهذه الزيادة**، على القول بأن هذه الطريق أرجح من رواية فطر وهو الصحيح الذي يظهر لي والله أعلم.

وبهذا نكون قد انتهينا ولله الحمد والمنة من الكلام على هذا الحديث.

❁ **فائدة:**

حول حشر البهائم و اقتصاص بعضها من بعض.

۞ **قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ :**

"فائدة: قال النووي في " شرح مسلم " تحت حديث الترجمة: "هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين، ومن لم تبلغه دعوة. وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ**﴾ [التكوير: ٥] وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع، وجب حمله على ظاهره.

۞ **قال العلماء**:

وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب.

وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف، إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة، و (الجلحاء) بالمد هي: الجماء التي لا قرن لها. والله أعلم ".

وذكر نحوه ابن الملك في " مبارق الأزهار " (٢ / ٢٩٣) مختصرا .

۞ **ونقل عنه العلامة الشيخ علي القاري في " المرقاة " (٤ / ٧٦١) أنه قال**:

"فإن قيل: الشاة غير مكلفة، فكيف يقتص منها؟ قلنا: إن الله تعالى فعال لما يريد ولا يسأل عما يفعل والغرض منه إعلام العباد أن الحقوق لا تضيع بل يقتص حق المظلوم من الظالم ".

۞ **قال القاري**:

"وهو وجه حسن، وتوجيه مستحسن، إلا أن التعبير عن الحكمة بـ (الغرض) وقع في غير موضعه. وجملة الأمر أن القضية دالة بطريق المبالغة على كمال العدالة بين كافة المكلفين، فإنه إذا كان هذا حال الحيوانات الخارجة عن التكليف، فكيف بذوي العقول من الوضيع والشريف، والقوي والضعيف؟ ".

ꕥ **قلت**: ومن المؤسف أن ترد كل هذه الأحاديث من بعض علماء الكلام بمجرد الرأي، وأعجب منه أن يجنح إليه العلامة الألوسي! فقال بعد أن ساق الحديث عن أبي هريرة من رواية مسلم ومن رواية أحمد بلفظ الترجمة عند تفسيره آية "وإذا الوحوش حشرت" في تفسيره " روح المعاني " (٩ / ٣٠٦) :

"ومال حجة الإسلام الغزالي وجماعة إلى أنه لا يحشر غير الثقلين لعدم كونه مكلفا ولا أهلا لكرامة بوجه، وليس في هذا الباب نص من كتاب أو سنة معول عليها يدل على حشر غيرهما من الوحوش، وخبر مسلم والترمذي وإن كان صحيحا لكنه لم يخرج مخرج التفسير للآية، ويجوز أن يكون كناية عن العدل التام. وإلى هذا القول أميل ولا أجزم بخطأ القائلين بالأول لأن لهم ما يصلح مستندا في الجملة. والله تعالى أعلم".

ﷺ **قلت**: كذا قال – عفا الله عنا وعنه – وهو منه غريب جدا لأنه على خلاف ما نعرفه عنه في كتابه المذكور، من سلوك الجادة في تفسير آيات الكتاب على نهج السلف، دون تأويل أو تعطيل، فما الذي حمله هنا على أن يفسر الحديث على خلاف ما يدل عليه ظاهره، وأن يحمله على كناية عن العدل التام، أليس هذا تكذيبا للحديث المصرح بأنه يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء، فيقول هو تبعا لعلماء الكلام: إنه كناية! ... أي لا يقاد للشاة الجماء. وهذا كله يقال لو وقفنا بالنظر عند رواية مسلم المذكورة، أما إذا انتقلنا به إلى الروايات الأخرى كحديث الترجمة وحديث أبي ذر وغيره، فإنها قاطعة في أن القصاص المذكور هو حقيقة وليس كناية، ورحم الله الإمام النووي، فقد أشار بقوله السابق:

"وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره".

ﷺ **قلت**: أشار بهذا إلى رد التأويل المذكور وبمثل هذا التأويل أنكر الفلاسفة وكثير من علماء الكلام كالمعتزلة وغيرهم رؤية المؤمنين لربهم يوم

القيامة وعلوه على عرشه ونزوله إلى السماء الدنيا كل ليلة ومجيئه تعالى يوم القيامة.

وغير ذلك من آيات الصفات وأحاديثها. وبالجملة، فالقول بحشر البهائم والاقتصاص لبعضها من بعض هو الصواب الذي لا يجوز غيره، فلا جرم أن ذهب إليه الجمهور كما ذكر الألوسي نفسه في مكان آخر من "تفسيره" (٩/ ٢٨١)، وبه جزم الشوكاني في تفسير آية " التكوير " من تفسيره "فتح القدير"، فقال (٥/ ٣٧٧): "الوحوش ما توحش من دواب البر، ومعنى (حشرت) بعثت، حتى يقتص بعضها من بعض، فيقتص للجماء من القرناء".

وقد اغتر بكلمة الألوسي المتقدمة النافية لحشر الوحوش محرر "باب الفتاوي" في مجلة الوعي الإسلامي السنة الثانية، العدد ٨٩ ص ١٠٧، فنقلها عنه، مرتضيا لها معتمدا عليها، وذلك من شؤم التقليد وقلة التحقيق. والله المستعان وهو ولي التوفيق" اهـ. "السلسلة الصحيحة" (١٩٦٧).

بعض الآثار عن الصحابة والتابعين في صفة الدراية

جاءت بعض الآثار عن الصحابة والتابعين فيها الإخبار عن الله بأنه يدري، نذكرها هنا من باب الفائدة، وإلا فهي لا تكفي في إثبات هذه الصفة لله تعالى؛ لأنه كما تقدم معنا أنه لا يجوز وصف الله تعالى إلا بما جاء في القرآن الكريم أو في صحيح سنة نبينا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وعلى هذا فاللائق بهؤلاء السلف رحمهم الله تعالى الذين أطلقوا صفة الدراية على الله، أنهم أطلقوها عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من باب الإخبار عنه لا من باب الصفات؛ إذ كيف يليق بهم أن يطلقوا عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صفة لم تثبت عن الله تعالى ولا عن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا يدل على أنهم أرادوا الإخبار عن الله تعالى؛ لأن باب الإخبار أوسع من باب الصفات، فيطلق على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما ثبت معناه في الكتاب والسنة وإن لم يثبت لفظه فيهما، فصفة الدراية معناه ثابت لله تعالى وهي صفة العلم، وبهذا فسرها السلف رحمهم الله تعالى.

الأثر الأول: أثر أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: دَخَلْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَوَجَدْتُ فِيهِ رَجُلًا يُكْثِرُ السُّجُودَ، فَوَجَدْتُ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: أَتَدْرِي عَلَى شَفْعٍ انْصَرَفْتَ أَمْ عَلَى وِتْرٍ؟ قَالَ: إِنْ أَكُ لَا أَدْرِي، فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي حِبِّي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي حِبِّي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي حِبِّي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً». قَالَ: قُلْتُ: أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللهُ؟ قَالَ: أَنَا أَبُو ذَرٍّ، صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَتَقَاصَرَتْ إِلَيَّ نَفْسِي.

وهذا الأثر عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحيح عنه، ولكن بدون زيادة نسبة الدراية إلى الله، وله ثلاث طرق:

❁ الطريق الأولى:

عن الأوزاعي وقد اختلف عليه في متنه:

١): فرواه عبد الرزاق عن الأوزاعي قال: أَخْبَرَنِي هَارُونُ بْنُ رِئَابٍ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: دَخَلْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَوَجَدْتُ فِيهِ رَجُلًا يُكْثِرُ السُّجُودَ، فَوَجَدْتُ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: أَتَدْرِي عَلَى شَفْعٍ انْصَرَفْتَ أَمْ عَلَى وِتْرٍ؟ قَالَ: إِنْ أَكُ لَا أَدْرِي، فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي حِبِّي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي حِبِّي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي حِبِّي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً**». قَالَ: قُلْتُ: أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللهُ؟ قَالَ: أَنَا أَبُو ذَرٍّ، صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَتَقَاصَرَتْ إِلَيَّ نَفْسِي.

أخرجه أحمد (٢١٤٥٢) ومن طريقه ابن عساكر (٢٤/ ٣٠١) وهو في "الصحيح المسند" للعلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٢٧١) .

٢): ورواه محمد بن كثير الصنعاني عند الدارمي (١٥٠٢)، و محمد بن يوسف عند ابن نصر المروزي في كتابه "تعظيم قدر الصلاة" (٢٨٨) وابن عساكر (٢٤/ ٣٠٠) كلاهما عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ هَارُونَ بْنِ رِئَابٍ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَإِذَا رَجُلٌ يُكْثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، قُلْتُ: لَا أَخْرُجُ حَتَّى أَنْظُرَ أَيَدْرِي هَذَا عَلَى شَفْعٍ يَنْصَرِفُ، أَمْ عَلَى وِتْرٍ؟ فَلَمَّا فَرَغَ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَعَلَى شَفْعٍ تَدْرِي انْصَرَفْتَ، أَمْ عَلَى وِتْرٍ؟ فَقَالَ: إِنْ أَكُ لَا أَدْرِي، فَإِنَّ اللهَ يَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ خَلِيلِي أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً**»، قُلْتُ: مَنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللهُ؟ قَالَ: أَنَا أَبُو ذَرٍّ، قَالَ: فَتَقَاصَرَتْ إِلَيَّ نَفْسِي . وهذا لفظ الدارمي.

٣): ورواه أبو المغيرة عند البيهقي (٤٢٥٥) وابن عساكر (٢٤/ ٣٠٠) من طريقين عن أبي المغيرة ثنا الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ رِئَابٍ، قَالَ: دَخَلَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ مَسْجِدَ دِمَشْقٍ فَإِذَا بِرَجُلٍ يُكْثِرُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَقَالَ: وَاللهِ لَا

أَبْرَحُ حَتَّى أَنْظُرَ عَلَى شَفْعٍ يَنْصَرِفُ أَمْ عَلَى وِتْرٍ قَالَ: فَلَمَّا انْصَرَفَ الرَّجُلُ قَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ هَلْ تَدْرِي عَلَى شَفْعٍ انْصَرَفْتَ أَمَ عَلَى وِتْرٍ؟ قَالَ: أَلَّا أَكُونَ أَدْرِي فَإِنَّ اللهَ يَدْرِي، إِنِّي سَمِعْتُ خَلِيلِي أَبَا الْقَاسِمِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ يَقُولُ، ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ خَلِيلِي أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً**» قَالَ: فَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: مَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللهُ؟ قَالَ: قَالَ: أَبُو ذَرٍّ، فَتَقَاصَرَتْ إِلَيَّ نَفْسِي مِمَّا وَقَعَ فِي نَفْسِي عَلَيْهِ".

قلت: مدار الحديث على الأوزاعي عن هارون بن رئاب عن الأحنف بن قيس عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورجاله كلهم ثقات لكن أعله بالانقطاع الإمام ابن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ كما في معجمه (١/ ٥١٠) فقال:

"هذا حديث محفوظ من حديث هارون بن رئاب الأسدي وهو منقطع لأنه لم يدرك الأحنف"اهـ.

قلت: جاء في "تاريخ الإسلام" (٣/ ٥٤٣) للإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ أن هارون بن رئاب توفي في سنة [١٢١ - ١٣٠ هـ] قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: يقال: عاش ثلاثا وثلاثين سنة.

وأما الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ ففي "تهذيب الكمال" للمزي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه توفي سنة سبع وستين من الهجرة، وقيل: سنة اثنتين وسبعين بالكوفة.

فاحتمال الإدراك قريب، والله أعلم.

وقد أشار ابن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ في "تاريخ دمشق" إلى أنه قد اختلف في لفظه،

فتارة روي أنه كان في مسجد دمشق وتارة أنه كان مسجد حمص وتارة أنه كان في مسجد بيت المقدس .

❁ **الطريق الثانية:**

عَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: قَعَدْتُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَعَلَ يُصَلِّي: يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ ثُمَّ يَقُومُ، ثُمَّ يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ لَا يَقْعُدُ، فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا أَرَى هَذَا يَدْرِي يَنْصَرِفُ عَلَى شَفْعٍ أَوْ وِتْرٍ، فَقَالُوا: أَلَا تَقُومُ إِلَيْهِ فَتَقُولَ لَهُ؟ قَالَ: فَقُمْتُ فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ، مَا أَرَاكَ تَدْرِي تَنْصَرِفُ عَلَى شَفْعٍ أَوْ عَلَى وَتْرٍ؟ قَالَ: وَلَكِنَّ اللهَ يَدْرِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ سَجَدَ لِلَّهِ سَجْدَةً، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَحَطَّ بِهَا عَنْهُ خَطِيئَةً، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً**» فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَبُو ذَرٍّ. فَرَجَعْتُ إِلَى أَصْحَابِي، فَقُلْتُ: جَزَاكُمُ اللهُ مِنْ جُلَسَاءَ شَرًّا، أَمَرْتُمُونِي أَنْ أُعَلِّمَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أخرجه أحمد (٢١٣١٧) وابن نصر المروزي في كتابه "تعظيم قدر الصلاة" (٢٨٦) من طريقين عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن مطرف بن عبد الله بن الشخير به .

وهذا إسناد ضعيف، لضعف على بن زيد بن جدعان وقد خالفه أبو عثمان النهدي وهو ثقة ثبت، فرواه عن مطرف موقوفا، وليس فيه زيادة نسبة الدراية إلى الله، وإسناده صحيح:

أخرجه عبد الرزاق (٣٥٦٢) فقال: عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، وَخَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي

مَعَ كَعْبٍ فَمَرَرْنَا بِرَجُلٍ يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ، لَا يَدْرِي أَعَلَى شَفْعٍ هُوَ أَمْ عَلَى وِتْرٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَأُرْشِدَنَّ هَذَا، فَتَخَلَّفْتُ فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَعَلَى شَفْعٍ أَنْتَ أَمْ عَلَى وِتْرٍ؟ قَالَ: «**قَدْ كُفِيتُ**»، قُلْتُ: مَنْ كَفَاكَ؟ قَالَ: «**الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ**» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ سَجَدَ لِلَّهِ سَجْدَةً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً**» قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَبُو ذَرٍّ، قَالَ: فَقُلْتُ: «**ثَكِلَتْ مُطَرِّفًا أُمُّهُ، أَبَا ذَرٍّ يَعْرِفُ السُّنَّةَ**»، قَالَ: فَقَالَ كَعْبٌ: «**أَيْنَ مُطَرِّفٌ؟**» قَالَ قِيلَ: تَخَلَّفَ يُرْشِدُ رَجُلًا رَآهُ لَا يَدْرِي أَعَلَى شَفْعٍ هُوَ أَمْ عَلَى وِتْرٍ؟ فَقَالَ كَعْبٌ: «**مَنْ سَجَدَ لِلَّهِ سَجْدَةً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً**» .

وأخرجه ابن أبي شيبة (٤٦٦٤) فقال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، قَالَ أَتَيْتُ الشَّامَ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ، يُصَلِّي وَيَرْكَعُ وَيَسْجُدُ وَلَا يَفْصِلُ فَقُلْتُ لَوْ قَعَدْتُ حَتَّى أَرْشُدَ هَذَا الشَّيْخَ قَالَ فَجَلَسْتُ فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قُلْتُ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَعَلَى شَفْعٍ انْصَرَفْتَ أَمْ عَلَى وِتْرٍ؟ قَالَ: قَدْ كُفِيتُ ذَلِكَ قُلْتُ: وَمَنْ يَكْفِيكَ؟ قَالَ: الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ مَا سَجَدْتُ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَنِي اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنِّي بِهَا خَطِيئَةً، قُلْتُ: مَنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللهِ، قَالَ: أَبُو ذَرٍّ، قُلْتُ: ثَكِلَتْ مُطْرِفًا أُمُّهُ يُعْلِمُ أَبَا ذَرٍّ السُّنَّةَ فَلَمَّا أَتَيْتُ مَنْزِلَ كَعْبٍ قِيلَ لِي قَدْ سَأَلَ عَنْكَ فَلَمَّا لَقِيتُهُ ذَكَرْتُ لَهُ أَمْرَ أَبِي ذَرٍّ وَمَا قَالَ لِي فَقَالَ لِي مِثْلَ قَوْلِهِ .

❁ الطريق الثالثة:

عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن أبيه قال: حدثني من رأى أبا ذر يكثر الركوع والسجود فقيل له: أيها الشيخ! أتدرى أعلى شفع تنصرف أو على وتر؟!

فقال: لكن الله يدري".

أخرجه الشافعي في "الأم" (١/ ٣٢٨) والبيهقي في "معرفة السنن والآثار" (٥٥١٧) وذكره ابن الأثير في "الشَّافِي فِيْ شَرْح مُسْنَد الشَّافِعِي" (٢/ ٢٧١).

وهذا إسناد ضعيف، فيه: عبد الله بن أبي نجيح ثقة لكنه مدلس من [**الطبقة الثالثة**] وقد عنعن، وفيه أيضا: شيخ أبيه وهو رجل مبهم لم يسمَّ.

فهذه ثلاثة طرق لهذا الأثر: الطريق الأولى: فيها انقطاع، والطريق الثانية: ليس فيها نسبة الدراية إلى الله على الرواية الصحيحة، والطريق الثالثة: فيها عنعنة مدلس وفيها رجل مبهم.

والذي يظهر: أنها لا تثبت هذه الزيادة وهي: [**لكن الله يدري**] في هذا الأثر، لاسيما وقد صح الأثر بدونها والله أعلم.

الأثر الثاني: أثر أبي فاطمة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن أبي فاطمة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعن أَبِي فَاطِمَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كَانَ يُكْثِرُ السُّجُودَ وَالرُّكُوعَ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ: يَا أَبَا فَاطِمَةَ أَشَفَعْتَ أَمْ أَوْتَرْتَ، قَالَ: " لَكِنَّ اللهَ يَدْرِي ".

أخرجه البيهقي في الشعب (٢٨١٣) فقال: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ هُوَ الْأَصَمُّ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ، حدثنا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ كَثِيرِ بْنِ دِينَارٍ، حَدَّثَنَا حَرِيزٌ، عَنِ ابْنِ أَبِي عَوْفٍ، عَنْ أبي فاطمة به.

وفيه: سعيد بن عثمان وهو التنوخي ضعفه الإمام الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال

ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٤/ ٣٧): "سعيد بن عثمان التنوخي أبو عثمان الحمصي روى عن بشر بن بكر وأبي المغيرة وأسد بن موسى وبشر بن المنذر وعلي بن معبد سمعنا منه بحمص، محله الصدق"اهـ .

الأثر الثالث: أثر الربيع بن خثيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

عن الربيع بن خُثيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّهُ قَالَ لِأَهْلِهِ: "اصْنَعُوا لِي خَبِيصًا فَصُنِعَ لَهُ فَدَعَا رَجُلًا بِهِ خَبْلٌ فَجَعَلَ يُلْقِمُهُ وَلُعَابُهُ يَسِيلُ، فَلَمَّا ذَهَبَ قَالَ أَهْلُهُ: تَكَلَّفْنَا وَصَنَعْنَا، وَمَا يَدْرِي هَذَا مَا أَكَلَ قَالَ الرَّبِيعُ: «لَكِنَّ اللهَ يَدْرِي».

أخرجه هناد السري في "الزهد" (١/ ٣٤٣) وابن أبي شيبة (٢٥٠٢٨) و(٣٥٩٩٩) وابن أبي الدنيا في "الجوع" (١٠٨) والبيهقي في "الشعب" (٣٢١٦) من طريق وَكِيعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُنْذِرٍ الثَّوْرِيِّ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ به .

وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، لولا عنعنة الأعمش فإنه مشهور بالتدليس، بل قد وصفه الخطيب البغدادي في "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" ص٣٦٥ بتدليس التسوية ونقل ذلك أيضا عن عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **وقال الإمام الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"وهو يدلس، وربما دلس عن ضعيف، ولا يدرى به، فمتى قال حدثنا فلا كلام، ومتى قال "عن" تطرق إلى احتمال التدليس إلا في شيوخ له أكثر عنهم: كإبراهيم، وابن أبي وائل، وأبي صالح السمان، فإن روايته عن هذا الصنف

محمولة على الاتصال"اهـ انظر"ميزان الاعتدال"(٢/ ٢٢٤) .

❁ **ولكن له طريق أخرى:**

أخرجه أحمد في "الزهد" (١٩٧٤) وابن أبي شيبة (٣٦٣٨٧) عن قَبِيصَةُ، عَنْ سُفْيَانَ (الثوري)، عَنْ سُرِّيَّةِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، قَالَتْ: كَانَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ تُعْجِبُهُ الْحَلْوَى فَيَقُولُ: اصْنَعُوا لَنَا طَعَامًا فَنَصْنَعُ لَهُ طَعَامًا كَثِيرًا فَيَدْعُو فَرَّوْخَ وَفُلَانًا فَيُطْعِمُهُمْ بِيَدِهِ وَيَسْقِيهِمْ وَيَشْرَبُ هُوَ فَضْلَ شَرَابِهِمْ فَيُقَالُ: مَا يَدْرِيَانَ هَذَانِ مَا تُطْعِمُهُمَا فَيَقُولُ: «**لَكِنَّ اللهَ يَدْرِي**» .

وقبيصة هو: ابن عقبة السوائي وقد تكلم الإمام ابن معين وأحمد في روايته عن سفيان الثوري، وسرية الربيع بن خُثيم هي أم عبد الله، قال يعقوب بن سفيان: "لا بأس بها"، وقال العجلي: "كوفية، ثقة".

وأيضا رواية هذه القصة تخالف لفظ القصة الأولى، فتأمل والله أعلم.

هذا ما وقفت عليه من الآثار التي فيها نسبة صفة الدراية لله تعالى، وهناك بعض الأدلة استدل بها بعض العلماء في ثبوت صفة الدراية لله تعالى وهي كما يلي:

الدليل الأول: قول الله تعالى: ﴿**قُل لَّوْ شَاء اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [يونس: ١٦].

قال الإمام ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وغير واحد من أهل التفسير**: ﴿**وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ **أي: ولا أعلمكم به.**

جاء هذا التفسير عن ابن عباس[(١)] وابن زيد[(٢)] والحسن البصري[(٣)]، وقال قتادة والضحاك: ولا أشعركم الله به[(٤)].

---

(١) ضعيف:

أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما عند الآية من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: (ولا أدراكم به) أي: ولا أعلمكم. وهذا إسناد ضعيف، فيه عبد الله بن صالح وهو ضعيف، وعلي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

وله طريق أخرى عند ابن جرير من طريق محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: {**لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به**}، يقول: لو شاء الله لم يعلمكموه. وهذا إسناد شديد الضعف مسلسل بالعوفيين.

(٢) صحيح:

أخرجه ابن جرير عند الآية فقال: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به)، ولا أعلمكم به. وهذا إسناد صحيح.

(٣) صحيح:

أخرجه ابن جرير عند الآية فقال: حدثني محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن، أنه كان يقرأ: {**وَلَا أَدْرَأْتُكُمْ بِهِ**}، يقول: ما أعلمتكم به. وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٤) أثر قتادة أخرجه ابن أبي حاتم عند الآية فقال: حدثنا أبي عن هشام بن خالد، ثنا شعيب بن إسحاق، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: {**ولا أدراكم به**} أي: أشعركم. وإسناده صحيح، ورواية شعيب بن إسحاق عن سعيد بن أبي عروبة كانت قبل اختلاطه، وسعيد بن أبي عروبة من أثبت الناس في قتادة وقد جزم الإمام أحمد بأنه حفظ تفسير قتادة.

وأما أثر الضحاك فقد أخرجه ابن جرير عند الآية فقال: حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: {**ولا أدراكم به**}، يقول: ولا أشعركم الله به. وإسناد ضعيف، لإبهام شيخ ابن جرير، ولضعف الحسين بن الفرج، وأبو معاذ هو الفضل بن خالد النحوي مجهول حال مترجم له في تاريخ الإسلام، وعبيد بن سليمان الباهلي قال أبو حاتم: لا بأس به.

والجواب عن الاستدلال بهذه الآية أن يقال:

إن هذه الآية ليس فيها دلالة واضحة على ثبوت صفة الدراية لله تعالى؛ لأن الفعل [أدرى] متعد، فمعنى قوله: ﴿**وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ أي: ولا أدرى الله تعالى المشركين به، وهذا يعني تعدية صفة الدراية للمخلوقين، وليس فيها نسبة الدراية إلى الله، بدليل أنك تقول: الله تعالى أنام العباد بالليل، فهل يعني هذا أن من صفة الله تعالى النوم؟!

لا شك أن المراد بذلك هو تعدية الفعل إلى المخلوقين، وهذا في كل فعل متعد على هذه الصيغة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ أي: ولا أدرى الله تعالى المشركين به.

ثم نقول لمن يثبت هذه الصفة لله تعالى اعتمادا على هذه الآية: ماذا يعني قول قتادة -وقد صح عنه ذلك- في تفسير هذه الآية: ﴿**وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ أي: ولا أشعركم الله به؟

هل معناه: أن قتادة يثبت لله صفة الشعور؟! لا شك أن الأمر ليس كذلك، وإنما معناه تعدية هذا الفعل إلى المخلوقين، فهكذا يقال في هذه الآية: إن معناها تعدية صفة الدراية إلى المخلوقين، وليس فيها نسبة الدراية إلى الله، والله أعلم.

الدليل الثاني: قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [لقمان: ٣٤].

۞ **وقد بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (١٠٣٩) فقال:**

باب: لا يدري متى يجيء المطر إلا الله وقال أبو هريرة: عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خمس لا يعلمهن إلا الله**».

حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر**».

وجميع شراح الحديث فيما وقفت عليه يقولون: أي: لا يعلم أحد متى يجيء المطر إلا الله، بدليل ذكر البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خمس لا يعلمهن إلا الله**» والله أعلم.

۞ **قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :**

"قد سبق في الباب المشار إليه: الإشارة إلى اختصاص الله بعلم هذه الخمس، التي هي مفاتح الغيب، التي قال فيها: ﴿* **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [الأنعام: ٥٩] .

وهذه الخمس المذكورة في حديث ابن عمر، ليس فيها علم الساعة، بل فيها ذكر متى يجيء المطر، بدل الساعة.

وهذا مما يدل على أن علم الله الذي استأثر به دون خلقه لم ينحصر في

خمس، بل هو أكثر من ذلك، مثل علمه بعدد خلقه، كما قال: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

ومثل استئثاره بعلمه بذاته وصفاته وأسمائه، كما قال: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] .

وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – في ذكر أسمائه –: "أو استأثرت به في علم الغيب عندك ".

وإنما ذكرت هذه الخمس لحاجة الناس إلى معرفة اختصاص الله بعلمها، والعلم بمجموعها مما اختص الله بعلمه، وكذلك العلم القاطع بكل فرد من أفرادها.

وأما الاطلاع على شيء يسير من أفرادها بطريق غير قاطع، بل يحتمل الخطأ والإصابة فهو غير منفي؛ لأنه لا يدخل في العلم الذي اختص الله به، ونفاه عن غيره.

وتقدم – أيضا – أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوتي علم كل شيء، إلا هذه الخمس.

فأما اطلاع الله سبحانه له على شيء من أفرادها، فإنه غير منفي أيضا، وهو داخل في قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] الآية.

ولكن علم الساعة مما اختص الله به، ولم يطلع عليه غيره، كما تقدم في حديث سؤال جبريل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك جملة العلم بما في غد.

وقد قالت جارية بحضرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وفينا نبي يعلم ما في غد

فنهاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قول ذلك. وقد خرجه البخاري في "النكاح".

وأما العلم بما في الأرحام، فينفرد الله تعالى بعلمه، قبل أن يأمر ملك الأرحام بتخليقه وكتابته، ثم بعد ذلك قد يطلع الله عليه من يشاء من خلقه، كما أطلع عليه ملك الأرحام.

فإن كان من الرسل فإنه يطلع عليه علما يقينا، وإن كان من غيرهم من الصديقين والصالحين، فقد يطلعه الله تعالى عليه ظاهرا.

كما روى الزهري، عن عروة، عن عائشة، أن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال لها - في كلام ذكره -: إنما هو أخواك وأختاك. قالت: فقلت هذا أخواي، فمن أختاي؟ قال: ذو بطن ابنة خارجة، فإني أظنها جارية.

ورواه هشام، عن أبيه، عن عائشة، أنها قالت له عند ذلك: إنما هي أسماء؟ فقال: وذات بطن بنت خارجة، أظنها جارية.

ورواه هشام، عن أبيه: قد ألقي في روعي، أنها جارية، فاستوصي بها خيرا. فولدت أم كلثوم.

وأما علم النفس بما تكسبه غدا، وبأي أرض تموت، ومتى يجيء المطر، فهذا على عمومه لا يعلمه إلا الله. وأما الاطلاع على بعض أفراده، فإن كان باطلاع من الله لبعض رسله، كان مخصوصا من هذا العموم، كما أطلع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كثير من الغيوب المستقبلة، وكان يخبر بها.

فبعضها يتعلق بكسبه، مثل إخباره أنه يقتل أمية بن خلف، وأخبر سعد بن

معاذ بذلك أمية بمكة، وقال أمية: والله، ما يكذب محمد.

وأكثره لا يتعلق بكسبه، مثل إخباره عن الصور المستقبلة في أمته وغيرهم، وهو كثير جدا.

وقد أخبر بتبوك، أنه «**تهب الليلة ريح شديدة، فلا يقومن أحد**»، وكان كذلك.

والاطلاع على هبوب بعض الرياح نظير الاطلاع على نزول بعض الأمطار في وقت معين. وكذلك إخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنته فاطمة في مرضه، أنه مقبوض من مرضه.

وقد روي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**».

خرجه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري، والنسائي من حديث أم سلمة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وهو دليل على أنه علم موضع موته ودفنه. وقد روي عنه، أنه قال: «**لم يقبض نبي إلا دفن حيث يقبض**». خرجه ابن ماجه وغيره.

وأما إطلاع غير الأنبياء على بعض أفراد ذلك فهو - كما تقدم- لا يحتاج إلى استثنائه؛ لأنه لا يكون علما يقينا، بل ظنا غالبا، وبعضه وهم، وبعضه حدس وتخمين، وكل هذا ليس بعلم، فلا يحتاج إلى استثنائه مما انفرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعلمه، كما تقدم. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم."اهـ[1] .

---

(١)"فتح الباري" (٩/ ٢٦٧) .

۞ وقال الإمام القسطلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"(وما يدري أحد متى يجيء المطر) زاد الإسماعيلي: إلا الله، أي: إلا عند أمر الله به، فإنه يعلم حينئذ، وهو يرد على القائل: إن لنزول المطر وقتا معينا لا يتخلف عنه.

وعبر بالنفس في قوله: ﴿**وما تدرى نفس بأى أرض تموت**﴾. وفي قوله: ﴿**ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا**﴾ وفي الثلاثة الأخرى بلفظ: أحد؛ لأن النفس هي الكاسبة، وهي التي تموت. قال الله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ [المدثر: ٣٨] ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥] فلو عبر: بأحد، لاحتمل أن يفهم منه: لا يعلم أحد ماذا تكسب نفسه، أو: بأي أرض تموت نفسه، فتفوت المبالغة المقصودة بنفي علم النفس أحوالها، فكيف غيرها؟ وعدل عن لفظ القرآن، وهو: تدري إلى لفظ: تعلم، في ماذا تكسب غدا لإرادة زيادة المبالغة، إذ نفي العام مستلزم نفي الخاص من غير عكس، فكأنه قال: لا تعلم أصلا سواء احتالت أم لا"اهـ[(١)].

۞ وقال الإمام العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"أي: هذا باب ترجمته لا يدري وقت مجيء المطر إلا الله، ولما كان الباب السابق يتضمن أن المطر إنما ينزل بقضاء الله تعالى، وأنه لا تأثير للكواكب في نزوله ذكر هذا الباب بهذه الترجمة ليبين أن أحدا لا يعلم متى يجيء، ولا يعلم

(١)"إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري" (٢/ ٢٥٩) .

ذلك إلا الله عَزَّوَجَلَّ، لأن نزوله إذا كان بقضائه ولا يعلمه أحد غيره فكذلك لا يعلم أحد إبان مجيئه.

۞ **إلى أن قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

السؤال الرابع: ما الفرق بين العلم والدراية؟

وأجيب: بأن الدراية أخص لأنها علم باحتيال، أي: أنها لا تعرف وإن أعملت حيلها.

السؤال الخامس: لم عدل عن لفظ: القرآن، وهو يدري إلى لفظ: يعلم فيماذا تكسب غدا؟

وأجيب: لإرادة زيادة المبالغة، إذ نفي العام مستلزم لنفي الخاص بدون العكس، فكأنه قال: لا تعلم أصلا سواء احتالت أم لا.

۞ **وقال ابن بطال**:

وهذا يبطل خرص المنجمين في تعاطيهم علم الغيب، فمن ادعى علم ما أخبر الله ورسوله، وأن الله منفرد بعلمه فقد كذب الله ورسوله، وذلك كفر من قائله، وقال الزجاج: من ادعى أنه يعلم شيئا من هذه الخمس فقد كفر بالقرآن العظيم"اهـ[1].

وهكذا قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "فتح الباري" برقم (٥٠) والعلامة المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "فيض القدير" برقم (٨١٩٠) والعلامة القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "المرقاة" برقم (٣)، وغيرهم من الشراح كثير، كلهم يشرحون الباب والحديث

---

(١)"عمدة القاري شرح صحيح البخاري" (٧/ ٦٠).

ويفسرون الآية بالعلم، ولولا خشية الإطالة لنقلنا جميع كلامهم رحمهم الله تعالى.

۞ **وقال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ :**

"وذكر العلم في ثلاثة مواضع والدراية في موضعين، والفرق بينهما أن الدراية أخص لأنها علم باختيار، أي لا يعلم وإن أعملت حيلها وهو تفنن في تخصص بعض بهذا اللفظ وبعض بهذا"اهـ[(١)] .

۞ **وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ :**

"فثبت بذلك أن علم الساعة مما يختص الله تعالى به؛ لأنه من علم الغيب ولا يظهر الله تعالى أحدا من خلقه على غيبه إلا من ارتضاه من الرسل، فمن ادعى علم شيء منه غير الرسل فهو كاذب، مكذب لله تعالى "اهـ[(٢)] .

۞ **قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية:**

"هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب لا يجليها لوقتها إلا هو، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك، ومن يشاء الله من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى أو شقيا أو سعيدا، علم الملائكة الموكلون بذلك، ومن شاء الله من خلقه، وكذا لا

---

(١)"التنوير شرح الجامع الصغير" (٨١٧١) .

(٢)"مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين" (٢/ ٦٨) .

تدري نفس ماذا تكسب غدا في دنياها وأخراها وما تدري نفس بأي أرض تموت في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك، وهذه شبيهة بقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآية. وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب"اهـ[1].

۞ وقال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"قد تقرر أن الله تعالى أحاط علمه بالغيب والشهادة، والظواهر والبواطن، وقد يطلع الله عباده على كثير من الأمور الغيبية، وهذه [الأمور] الخمسة، من الأمور التي طوى علمها عن جميع المخلوقات، فلا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، فضلا عن غيرهما، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أي: يعلم متى مرساها، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] الآية.

﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أي: هو المنفرد بإنزاله، وعلم

(١) تفسير ابن كثير لسورة لقمان رقم الآية (٣٤) .

وقت نزوله ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ فهو الذي أنشأ ما فيها، وعلم ما هو، هل هو ذكر أم أنثى، ولهذا يسأل الملك الموكل بالأرحام ربه: هل هو ذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ما يشاء.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ من كسب دينها ودنياها ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ بل الله تعالى، هو المختص بعلم ذلك جميعه.

ولما خصص هذه الأشياء، عمم علمه بجميع الأشياء فقال:﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ محيط بالظواهر والبواطن، والخفايا والخبايا، والسرائر، ومن حكمته التامة، أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد، لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك"اهـ[1].

والجواب عن الاستدلال بهذه الآية أن يقال:

إن هذه الآية مما يدل على أن الله تعالى يوصف بالعلم، ولا دليل فيها على صفة الدراية، فهذه الآية دليل لنا لا دليل علينا؛ لأنه تعالى قال في الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما أسند الفعل إليه عبر بـ [العلم] فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا

---

(١) تفسير الإمام السعدي لسورة لقمان رقم الآية (٣٤) .

﴿تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ وعندما أسند الفعل إلى العبد عبر بـ[الدراية] فقال: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ فدل هذا على أنه يوصف بالعلم ولا يوصف بالدراية والله أعلم.

۞ قال أبو السعود العمادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ كما لا تدري في أي وقت تموت روي أن ملك الموت مر على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني فمر الريح أن تحملني وتلقيني ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عليهما السلام كان دوام نظري إليه تعجبا منه حيث كنت أمرت بأن أقبض روحه بالهند وهو عندك، ونسبة العلم إلى الله تعالى والدراية إلى العبد للإيذان بأنه إن أعمل حيله وبذل في التعرف وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرىء بأية أرض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الأشياء التي من جملتها ما ذكر ﴿خَبِيرٌ﴾ يعلم وباطنها كما يعلم ظواهرها عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "اهـ[1].

وعلى هذا جميع أهل التفسير رحمهم الله تعالى -فيما وقفت عليه- يفسرون

---

(١) تفسير أبي السعود المسمى بـ "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لسورة لقمان رقم الآية (٣٤).

الآية بعلم الله تعالى، ولا يتعرضون فيها لنسبة صفة الدراية إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بل أشار بعضهم إلى أن صفة الدراية تكون في حق المخلوق دون الخالق جل جلاله وتقدست أسماؤه.

وبهذا نكون قد انتهينا -ولله الحمد والمنة- من الكلام على الأمر الأول في بيان عدم ثبوت صفة الدراية لله تعالى، وهو: أنه لم يأت في القرآن ولا في صحيح سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يدل على ثبوت هذه الصفة لله تعالى، وننتقل الآن إلى الأمر الثاني وبالله التوفيق.

الأمر الثاني: أنه لا يعلم عن أحد من السلف ولا من الأئمة والعلماء المتقدمين ولا من المتأخرين رحمهم الله تعالى -فيما أعلم وفيما وقفت عليه- من نص على ثبوت صفة الدراية لله تعالى.

والوقوف عند أقوال السلف والأئمة والعلماء رحمهم الله تعالى في مسائل العقيدة هو الذي ينبغي للمسلم وهو الأسلم له كما **قال عمر بن عبدالعزيز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

"قف حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وإنهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم حدث بعدهم فما أحدثه إلا من سلك غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، ولقد تكلموا منه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، وما فوقهم محسر، لقد قصر عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم".

۞ وقال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"عليك بأثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك القول" .

۞ وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ :

"فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوه سيئا فهو عند الله سيئ".

۞ وقال بعض السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"فهم السلف لي خير من فهمي لنفسي".

وكان شيخنا العلامة المحدث يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى في دروسه يقول عندما يسأل عن بعض الصفات:

"لا أعلم أحدا من السلف من أثبت هذه الصفة لله تعالى"اهـ[1].

۞ ويقول أحيانا حفظه الله تعالى وسدده:

"وقد أثبتها فلان بن فلان من السلف"اهـ[2].

فإذا علمت أخي المسلم -وفقك الله تعالى- أن الذي ينبغي هو الوقوف

---

(١) ومن ذلك ما جاء في "الكنز الثمين في الأجوبة على أسئلة طلبة العلم والزائرين" (١/ ١٧٠) يقول السائل: قول الله تعالى: {**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**} هل تثبت فيه صفة الروح، وصفة النفخ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

فأجاب حفظه الله: صفة الروح **لا تثبت لله** عَزَّوَجَلَّ **لأننا لم نرمن أثبتها من السلف**، وصفة النفخ تبقى على ضاهرها كما دل على ثبوتها الدليل"اهـ .

(٢)انظر: "الكنز الثمين في الأجوبة على أسئلة طلبة العلم والزائرين"(١/ ٥) و(١/ ٨٧) .

حيث وقف السلف رحمهم الله، فهاهم سلف الأمة وأئمة الدِّين يقولون في هذه الأحاديث والآثار المروية في نسبة الدراية إلى الله تعالى: بأن المراد بها إثبات صفة العلم وأن من أطلق عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفة الدراية فمراده بذلك الإخبار عن الله عَزَّوَجَلَّ بالعلم لا أن الدراية من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فينبغي لنا الوقوف حيث وقفوا وإثبات ما أثبتوه لله تعالى وهذه هي طريق السلامة والنجاة .

وإليك كلام السلف وأئمة الدِّين رحمهم الله تعالى في إثبات صفة العلم من هذه الأحاديث والآثار المروية في نسبة الدراية إلى الله تعالى.

أقوال الأئمة والعلماء في نسبة الدراية إلى الله تعالى

١- قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"قول أبي ذر "لكن الله يدري"، يعني علم الله به، ويتوسع، وإن لم يعلم هو"اهـ[(١)].

٢- وقال الإمام ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"باب في الألفاظ التي يقتضي الإيجاز استعمالها في تفسير كتاب الله تعالى:

اعلم أن القصد إلى إيجاز العبارة قد يسوق المتكلم في التفسير إلى أن يقول: خاطب الله بهذه الآية المؤمنين، وشرف الله بالذكر الرجل المؤمن من آل فرعون، وحكى الله تعالى عن أم موسى أنها قالت: «قصيه»، ووقف الله ذرية آدم على ربوبيته بقوله: ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ونحو هذا من إسناد أفعال إلى الله تعالى لم يأت إسنادها بتوقيف من الشرع.

وقد استعمل هذه الطريقة المفسرون والمحدثون والفقهاء، واستعملها أبو المعالي في "الإرشاد"، وذكر بعض الأصوليين أنه لا يجوز أن يقال: حكى الله ولا ما جرى مجراه.

---

(١)"الأم" (١/ ٣٢٨).

۞ قال القاضي أبو محمد عبد الحق:

وهذا على تقرير هذه الصفة له وثبوتها مستعملة كسائر أوصافه تبارك وتعالى، وأما إذا استعمل ذلك في سياق الكلام والمراد منه حكت الآية أو اللفظ فذلك استعمال عربي شائع وعليه مشى الناس، وأنا أتحفظ منه في هذا التعليق جهدي، لكني قدمت هذا الباب لما عسى أن أقع فيه نادرا، واعتذارا عما وقع فيه المفسرون من ذلك.

وقد استعملت العرب أشياء في ذكر الله تعالى تنحمل على مجاز كلامها، فمن ذلك قول أبي عامر يرتجز بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فاغفر فداء لك ما اقتفينا**».

وقول أم سلمة: فعزم الله لي في الحديث في موت أبي سلمة وإبدال الله لها منه رسول الله.

ومن ذلك قولهم: الله يدري كذا وكذا والدراية إنما هي التأتي للعلم بالشيء حتى يتيسر ذلك.

۞ قال أبو علي:

"واحتج بعض أهل النظر على جواز هذا الإطلاق بقول الشاعر الجوهري: لا همّ لا أدري وأنت الداري ".

۞ قال أبو علي:

"وهذا لا ثبت فيه لأنه يجوز أن يكون من غلط الاعراب".

۞ قال القاضي أبو محمد عبد الحق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

وكذلك أقول إن الطريقة كلها عربية لا يثبت للنظر المنخول شيء منها.

۞ وقد أنشد بعض البغداديين:

لا هــمّ إن كنــت الــذي بعهــدي ولــم تتغيــرك الأمــور بعــدي

۞ وقد قال العجاج:

فارتــاح ربــي وأراد رحمتــي .....

۞ وقال الآخر:

قــد يصــبح الله إمــام الســاري .....

۞ وقال الآخر:

يــا فقعــسي لــم أكلتــه لمــه لــو خافــك الله عليــه حرمــه

۞ وقال أوس:

أبنــي لبينــي لا أحــبكم وجــد الإلــه بكــم كمــا أجــد

۞ وقال الآخر:

وإن الله ذاق عقــول تــيم فلمــا راء خفتهــا قلاهــا

ومن هذا الاستعمال الذي يبنى الباب عليه قول سعد بن معاذ: "عرق الله وجهك في النار" يقول هذا للرامي الذي رماه، وقال: "خذها وأنا ابن العرقة".

وفي هذه الأمثلة كفاية فيما نحوناه إذ النظير لذلك كثير موجود، وإن خرج شيء من هذه على حذف مضاف فذلك متوجه في الاستعمال الذي قصدنا

الاعتذار عنه والله المستعان"اهـ[١].

٣- وقال الإمام القرطبي :

وفي الدراية معنى الختل، ومنه: دريت الرجل أي: ختلته، ولهذا لا يطلق الداري في حق الله تعالى وأيضا عدم فيه التوقيف[٢].

٤- وقال الملَّا علي القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"وإنما جعل العلم لله والدراية للعبد لأن فيها معنى الحيلة ولذا لا يوصف الله بها"اهـ[٣] .

٥- وقال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"الداري: لم أرَ إطلاقه على الله سبحانه إلا في قول بعضهم، شعراً:

يـــا ربِّ لا أدري وأنـــت الـــدّاري كـــلُّ امـــرئ منـــك علـــىٰ مقـــدار

ومادة: [درى] مشتقه مِنْ عِلْمٍ سبقه شكٌّ، أو بضرب من الحيلة؛ لهذا فلا يجوز إطلاقه على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومما ينهى عنه من بابته قول العامة: "الله الذي يدْرِي"، صوابه: "الله الذي يعلم" سبحانه"اهـ[٤] .

---

(١) "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" (١/ ٥٤-٥٥) .

(٢) "الجامع لأحكام القرآن" تفسير سورة يونس آية (١٦) .

(٣) تفسير الملا علي القاري المسمى بـ "أنوار القرآن وأسرار الفرقان" تفسير سورة لقمان آية (٣٤) .

(٤) "معجم المناهي اللفظية" ص٢٥٢ .

٦- وقال الإمام عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -عند شرحه لحديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -:

"وفي هذا الحديث بيان إحاطة علم الباري بجميع المخلوقات جلائلها ودقائقها، حتى إنه يعلم الأسباب التي دعت الحيوانات إلى تصرفاتها المتنوعة، فهو يعلم السر وأخفى، ومن باب أولى وأحرى يعلم تعالى ما صدرت عنه من أعمال المكلفين من النيات الصالحة وغيرها؛ ولهذا يخبر في كتابه عند ذكر الجزاء والثواب والعقاب باطلاعه وعلمه بذات الصدور وبنيات العباد ومقاصدهم وسيجازيهم على ذلك إن خيرا فخير وإن شرا فشر"اهـ[1] .

٧- وقال العلامة الفوزان -وفقه الله تعالى-:

"هذا الحديث فيه وصف الله تعالى بالعلم، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يدري ما يدور بين مخلوقاته حتى الذي يكون بين البهائم.

فقوله: "شاتان ينتطحان فقال: أتدري فيم ينتطحان" أي: ما السبب الذي جعل بينهما هذا التضارب والتدافع؟ فقال أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ولكن الله يدري**» أي: الله يعلم ما بين هاتين الشاتين، وإذا كان هذا في الشاتين ففي غيرهما من باب أولى، فهو سبحانه يعلم ما يدور بين العباد من الاختلاف والنزاع والشقاق لا يخفي عليه شيء، وأنه تعالى يحكم بينهم يوم القيامة، حتى إنه جل وعلا يحكم بين البهائم... **إلى أن قال حفظه الله:**

والحديث فيه صفتان من صفات الله:

---

(١)"شرح أصول الإيمان" ص٨٤٠ .

الأولى: علم الله جل وعلا بما يجري بين المخلوقات على اختلاف أصنافها.

والثانية: الحكم، حيث إنه جل وعلا يحكم يوم القيامة بين الناس وبين الحيوانات، فيقضي بينهم وينصف المظلوم من الظالم"اهـ[١].

٨- وقال الشيخ صالح آل الشيخ وفقه الله تعالى:

"قال: «**ولكن الله يدري**» ودراية الله جل وعلا بـ "فيم ينتطح الكبشان أو العنزان" يعني: علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذلك .

ومعلوم: أن باب الإخبار أوسع من باب الوصف، فإن لفظ أو صفة (الدراية) لا يوصف الله جل وعلا بها لكن يطلق على الله جل وعلا من جهة الإخبار أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يدري بهذا الشيء لأنها من فروع العلم .

فهناك صفات لها جنس، فالعلم جنس تحته صفات، فجنس ما هو ثابت يجوز إطلاقه على الله جل وعلا من جهة الخبر"اهـ[٢] .

وظاهر كلام الإمام السعدي والفوزان وصالح آل الشيخ رحمهم الله جميعا: أن الصفة المستفادة من الحديث -حتى على فرض صحة الحديث- هي صفة العلم لا صفة الدراية، فلعلهم حملوا الحديث على أنه من باب الإخبار عن الله عَزَّوَجَلَّ كما صرح بذلك الشيخ صالح آل الشيخ والله أعلم .

---

(١)"شرح أصول الإيمان" ص٦١_ ٦٢ .

(٢) "شرح أصول الإيمان" ص٧ .

❋ **الأمر الثالث:**

أن صفة الدراية عند بعض أهل اللغة تدل على معنى لا يليق بالله تعالى؛ لأنها مشتقه مِنْ عِلْمٍ سبقه شكٌّ، أو بضرب من الحيلة.

فهذا الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي قال عنه بعض العلماء إن كلامه باللغة العربية حجة؛ لفصاحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ **كما قال عبد الملك بن هشام النحوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **-صاحب السيرة-:**

"طالت مجالستنا للشافعي فما سمعت منه لحنة قط، ولا كلمة غيرها أحسن منها".

۞ **وقال أيضا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"جالست الشافعي زمانا، فما سمعته تكلم بكلمة إلا إذا أعتبرها المعتبر لا يجد كلمة في العربية أحسن منها".

۞ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضا:**

"الشافعي كلامه لغة يحتج بها"اهـ.

۞ **وقال الزعفراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"كان قوم من أهل العربية يختلفون إلى مجلس الشافعي معنا، ويجلسون ناحية، فقلت لرجل من رؤسائهم: إنكم لا تتعاطون العلم فلم تختلفون معنا؟ قالوا: نسمع لغة الشافعي"اهـ.

۞ **وقال الاصمعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"صححت أشعار هذيل على فتى من قريش، يقال له محمد بن إدريس

الشافعي"اهـ.

۞ **وقال ثعلب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"العجب أن بعض الناس يأخذون اللغة عن الشافعي، وهو من بيت اللغة! والشافعي يجب أن يؤخذ منه اللغة، لا أن يؤخذ عليه اللغة "اهـ.

يعني: يجب أن يحتجوا بألفاظه نفسها، لا بما نقله فقط[1].

فإذا عرفت أخي المسلم الكريم -سددك الله تعالى- أن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه المثابة في معرفة الألفاظ العربية ومدلولاتها، فتأمل تفسيره لأثر أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حيث جعل الصفة التي تدل عليه هي صفة العلم لا صفة الدراية؛ لعلمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن هذه الصفة -وهي الدراية- قد تدل على ما لا ينبغي في حق الله، وإلا فما الموجب لصرفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأثر عن ظاهره وهذا نص كلامه:

"قول أبي ذر «**لكن الله يدري**»، يعني علم الله به، ويتوسع، وإن لم يعلم هو"اهـ.

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ويتوسع" كأنّه يريد أنه يتوسع في إطلاق ذلك على الله تعالى من باب الإخبار عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والله أعلم.

۞ **وقال الإمام القسطلاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"وعدل (أي: الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ) عن لفظ القرآن، وهو: تدري إلى لفظ: تعلم، في ماذا تكسب غدا لإرادة زيادة المبالغة، إذ نفي العام مستلزم نفي

---

(١) انظر مقدمة أحمد شاكر عل "الرسالة" للشافعي ص١٤، و"طبقات لشافعية الكبرى" للسبكي (٢/ ١٦١).

الخاص من غير عكس، فكأنه قال: لا تعلم أصلا سواء احتالت أم لا "اهـ[١].

۞ وقال الإمام العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"**السؤال الرابع: ما الفرق بين العلم والدراية؟**

وأجيب: بأن الدراية أخص لأنها علم باحتيال، أي: أنها لا تعرف وإن أعملت حيلها.

السؤال الخامس: لم عدل عن لفظ: القرآن، وهو يدري إلى لفظ: يعلم في ماذا تكسب غدا؟

وأجيب: لإرادة زيادة المبالغة، إذ نفي العام مستلزم لنفي الخاص بدون العكس، فكأنه قال: لا تعلم أصلا سواء احتالت أم لا"اهـ[٢].

وهكذا قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "فتح الباري"برقم (٥٠)، والمناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "فيض القدير" برقم (٨١٩٠) والقاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مرقاة المفاتيح" برقم (٣) والصنعاني في "التنوير شرح الجامع الصغير" برقم (٨١٧١) وغيرهم من شراح الأحاديث كما تقدم الإشارة إلى ذلك.

۞ وقال الإمام أبو هلال العسكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"الفرق بين الدراية والعلم: أن الدراية فيما قال أبو بكر الزبيري: بمعنى الفهم قال: وهو لنفي السهو عما يرد على الانسان فيدريه أي يفهمه، وحكي عن بعض أهل العربية: أنها مأخوذة من دريت إذا اختلت وأنشد:

---

(١)"إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري" (٢/ ٢٥٩) .

(٢)"عمدة القاري شرح صحيح البخاري" (٧/ ٦٠) .

يصيب فما يدري ويخطئ فما درىٰ .....

أي: ما اختل فيه يفوته وما طلبه من الصيد بغير ختل يناله، **فإن كانت مأخوذة من ذاك، فهو يجري مجرى ما يفطن الإنسان له من المعرفة التي تنال غيره فصار ذلك كالختل منه للأشياء، وهذا لا يجوز على الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وجعل أبو علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الدراية مثل العلم وأجازها على الله واحتج بقول الشاعر:

لا هـــمّ لا أدري وأنـــت الـــدَّاري .....

وهذا صحيح لأن الإنسان إذا سئل عما لا يدري فقال: لا أدري، فقد أفاد هذا القول منه معنى قوله: لا أعلم؛ لأنه لا يستقيم أن يسأل عما لا يعلم فيقول: لا أفهم؛ لأن معنى قوله: لا أفهم أي: لا أفهم سؤالك، وقوله: لا أدري إنما هو لا أعلم ما جواب مسألتك.

وعلى هذا يكون العلم والدراية سواء؛ لأن الدراية علم يشتمل على المعلوم من جميع وجوهه وذلك أن الفعالة للاشتمال مثل: العصابة والعمامة والقلادة، ولذلك جاء أكثر أسماء الصناعات على فعالة نحو القصارة والخياطة ومثل ذلك العبادة لاشتمالها على ما فيها، فالدراية تفيد ما لا يفيده العلم من هذه الوجه والفعالة أيضا تكون للاستيلاء مثل: الخلافة والإمارة فيجوز أن تكون بمعنى الاستيلاء فتفارق العلم من هذه الجهة"اهـ[1].

۞ **وقال أبو البقاء الحنفي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

---

(١) "الفروق" ص٢٣٠ .

"يستعمل العلم في المحل الذي يحصل العلم لا بواسطة، والعرفان يستعمل في المحل الذي يحصل العلم بواسطة الكسب، ولهذا يقال: (الله عالم) ولا يقال: (عارف)، كما لا يقال: (عاقل) فكذا الدراية فإنها لا تطلق على الله لما فيها من معنى الحيلة"اهـ[1] .

۞ وقال العلامة الزبيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

"دري: دَرَيْتُه و دَرَيْتُ بِهِ أَدْرِي دَرْيـًا ودَرْيَةً، بفتْحِهما ويُكْسَران، الكَسْرُ فِي دِرْيٍ عَن اللّحْيانيّ، ووَقَعَ فِي نسخِ الصِّحاحِ: دُرْيَة بالضمِّ بضَبْطِ القَلَم.

وحكَى ابنُ الأعرابيِّ: مَا تَدْرِي مَا دِرْيَتُها أَي مَا تَعْلَمُ مَا علْمُها. ودِرْيانـًا، بالكسْرِ ويُحَرَّكُ، ودِرايَةً، بالكسْرِ،! ودُرِيّـًا، كحُلِيَ: عَلِمْتُه؛ الأَخيرَةُ عَن الصَّاغانيّ فِي التكْمِلَةِ.

قالَ شيْخُنا (الفاسي): صَرِيحُه اتِّحادُ العِلْم والدِّرَايَةِ.

وصَرَّحَ غيرُهُ: بأَنَّ الدِّرايَةَ أَخَصُّ مِن العِلْم، كَمَا فِي التَّوْشِيح وغيرِهِ.

وقيلَ: إنَّ دَرَى يكونُ فِيمَا سَبَقه شَكٌّ؛ قالَهُ أَبو علي. أَو عَلِمْتُه بضَرْبٍ من الحِيلَةِ، وَلذَا لَا يُطْلَقُ على اللهِ تَعَالَى؛ وأَمَّا قوْلُ الراجزِ:

لا همّ لا أدري وأنت الدَّاري فَمن عجرفة الأعْراب"اهـ[2].

وقال أبو الحسن المرسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"قَالَ أَبُو عَليّ، وَمن العِلْمِ الدِّرَاية هِيَ مثلُ مَا تقدَّم فِي أَنَّهَا ضَرْب من العِلْمِ

---

(١) "الكليات" ص٦١١ .

(٢)"تاج العروس"(٣٨/ ٤١) .

مخصوصٌ، سِيبَوَيْهِ، هُوَ حَسَن الدِّرْية والدَّرْية يَذْهَب إِلَى أَن الفَعْلةَ قد تَدُلُّ على مَا تَدل عَلَيْهِ الفِعْلة من الحالِ وَكَأَنَّهُ من التَلَطُّف والاحْتِيال فِي تَفَهُّم الشَّيْء أنْشد أَبُو زيد:

فـإنَّ غَزَالَـك الَّـذِي كُنْـت تَـدْري إِذا شـئْت لَيْـتٌ خـادِرٌ بَـين أشْـبُلِ

قَالَ أَبُو زيد: تَدَّرِي تَخْتِل.

وَقَالَ آخر:

فَـإِن كُنْـتُ لا أَدْرِي الظِّبـاءَ فـإنَّني أدُسُّ لَهَـا تَحْـت التُّـراب الـدَّوَاهِيا

وَأنْشد أَحْمد بن يَحيى ثَعْلَب:

إمَّـــا تَرِينِـــي أذْرِي وأَدْرِي غِرَّاتِ جُمْـلٍ وتَـدَرَّىٰ غِـرَرِي"اهـ[1].

وقد تقدم **كلام الشيخ بكر أبو زيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومنه قوله:

"ومادة: [**درى**] مشتقه مِنْ عِلْمٍ سبقه شكٌّ، أو بضرب من الحيلة؛ لهذا فلا يجوز إطلاقه على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ"اهـ[2].

فهذه ثلاثة أمور تدل على عدم ثبوت صفة الدراية لله تعالى، وهذا آخر ما أردته من هذه الرسالة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(١)"المخصص"(١/ ٢٥٩).

(٢)"معجم المناهي اللفظية" ص٢٥٢.

الفهرس

تقديم فضيلة الشيخ العلامة المحدث يحيى بن علي الحجوري حفظه الله ٥

مقدمة ٦

تمهيد ١٠

❖ مسألة: هل صفات الله تعالى توقيفية؟ ١٠

❖ مسألة: ما هي طرق إثبات الصفة لله تعالى؟ ١١

بعض القواعد المهمة في باب الصفات ١٣

❖ مسألة: ما ضابط ما يخبر به عن الله تعالى؟ ١٧

أنواع الإخبار عن الله فيما جاء عن السلف ٢٢

❖ مسألة: هل يشترط في الإخبار عن الله التوقيف؟ ٢٣

هل من صفات الله تعالى: صفة الدراية؟ ٢٥

❖ هل يدل كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أنه يرجح طريق فطر بن خليفة المنقطعة مطلقا على الطريق الأخرى الموصولة؟ ٤٢

بعض الآثار عن الصحابة والتابعين في صفة الدراية ٤٧

الأثر الأول: أثر أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ٤٨

الأثر الثاني: أثر أبي فاطمة الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ٥٣

الأثر الثالث: أثر الربيع بن خثيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٥٤

أقوال الأئمة والعلماء في نسبة الدراية إلى الله تعالى ٧١

١- قال الإمام الشافعي **رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: ٧١

٢- وقال الإمام ابن عطية **رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: ٧١

٣- وقال الإمام القرطبي :..... ٧٤

٤- وقال الملَّا علي القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ :..... ٧٤

٥- وقال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:..... ٧٤

٦- وقال الإمام عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -عند شرحه لحديث أبي ذر

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -: ٧٥

٧- وقال العلامة الفوزان -وفقه الله تعالى-:..... ٧٥

٨- وقال الشيخ صالح آل الشيخ وفقه الله تعالى:..... ٧٦

الفهرس ٨٣